# الصباح الثقافي

رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

ملحق اسبوعي 16 صفحة www.alsabaah.iq

الأربعاء 9 تشرين الأول 2024 العدد 6024 Wed. 9 . Oct. 2024 Issue No. 6024

ch.editor@alsabaah.iq



02 نشأةُ الرواية الرسائليَّة

04 الآخر في عصر النهضة العربيَّة

08 حين تكون الثقافة سلاحاً كونياً

09 هل للمجلاتِ الأكاديميةِ مُستقبل ؟

12 عندما تلتقي الصحافة بالأدب

13 رواية عن ميزوبوتاميا

صامويل ريتشاردسون

غوته

> *تتكون الرواية الرسائلية من سلسلة من الرسائل الخيالية مرتبة ترتيباً زمنياً، ولكنها يمكن أن تحتوي أيضاً على إدخالات يومية أو مقدمات أو كلمات لاحقة بالإضافة إلى تعليقات مؤقتة. ويمكن أن تأتي الرسائل فقط من خلال الراوي بضمير المتكلم (أنا)، وتكون موجهة إلى شخصيات أخرى، ولكنها يمكن أن تحتوي أيضاً على مراسلات بين شخصيتين أو أكثر. ولا ينبغي تجاهل أن هذا الشكل المُميز من السرد هو اختيار المؤلف. إذْ لا يجوز بأي حال من الأحوال المساواة بين المؤلف وكاتب الرسالة؛ ويجب دائماً مراعاة التمييز بين الشخص الحقيقي والشخص الذي يكتب الرسالة.*

بهاء محمود علوان *

# نشأةُ الرواية الرسائليَّة
# بين غوته وصامويل ريتشاردسون

أعادت روايات صامويل ريتشاردسون، التي دفعت إلى الإصلاح الأخلاقي، تنشيط هذا النوع من الأدب في منتصف القرن الثامن عشر. الرواية التي تتحدث عن باميلا، التي تعرضت لاعتداءات على فضيلتها من قبل رب عملها، وجدت وسطها المناسب في مجموعة الرسائل: لقد تابع القارئ مجرى الأحداث مع مرسلي الرسائل، الذين، دون أن يتمكنوا من التدخل، للخوف من أن البطلة قد استسلمت مرغمةً لرغبات الرجل البغيض.

انفتحت روايات النصف الثاني من القرن الثامن عشر على هذا النوع الأدبي إلى الحد الذي سمح فيه التصوير الذاتي الحميم بإلقاء نظرة ثاقبة على العمق النفسي لكتابة الذات بثقة. يمكن تحويل الحبكة إلى الداخل من خلال الرواية الرسائلية. وفي الثقافة الألمانية برع غوته في كتابة هذا النوع من الروايات. كما أن أول رواية رسائلية باللغة الألمانية كانت قصة الآنسة (الأنسة فون لاروش) للكاتبة صوفي فون لاروش، والتي نُشرت عام 1771.

ونجدُ في الأدب الفرنسي رواية (The New Heloise) للكاتب جان جاك روسو. وفي القرن التاسع عشر، سيطرت السير الذاتية والخيالية على مجال الرواية الرسائلية. إن ما يميز الرواية الرسائلية هو أسلوبها السردي الذي يتطلع إلى الداخل: فالمشاعر والتقييم الشخصية لما تم اختباره موجود في ذروة الرواية؛ ولا يمكن قراءة الحبكة إلا من خلال الإدراك العاطفي للراوي بضمير المتكلم. ويبدو أن الفارق الزمني بين التجربة والخبر قد تم إلغاؤه، لأن التأمل فقط (أي الإخبار فقط) يلعب دوراً كبيراً في الأحداث. إن الرسالة الوهمية ليست مناسبة بشكل خاص للتعبير عن المشاعر فحسب، بل إنها توفر أيضاً مجالاً كبيراً للحرية اللغوية. إن إدخالات اليوميات والرسائل ليست مخصصة للجمهور العام، لذا يمكن لكاتبي الرسائل، اعتماداً على المرسل إليه، استخدام لغة يومية مجازية وسهلة الوصول إليها. يؤدي هذا إلى تعاطف جمهور القراء مع الشخصية وتنمية الشعور بالحميمية.

### *أُحادية المنظور أو متعددة المنظور*

إذا كانت مجموعة الرسائل الخيالية تأتي من يد كاتب الرسائل، فإن بنية الرواية توصف بأنها (أحادية المنظور). وهذا هو الحال، على سبيل المثال، في رواية يوهان فولفكانك غوته الرسائلية (آلام فيرتر 1774)، والتي تتكون من 92 رسالة مقسمة إلى كتابين. تعود جميع الرسائل إلى الفترة ما بين مايو 1771 وديسمبر 1772، وهي موجهة بشكل أساسي من قبل بطل الرواية الرئيسي (فيرتر) إلى صديقه فيلهلم. ومع ذلك، فإن إجابات فيلهلم ليست في متناول القارئ.

إذا كانت مجموعة الرسائل الوهمية تصور نصوصاً من أشخاص مختلفين، فإن بنية الرواية توصف بأنها

الصباح الثقافي
هيأة التحرير
نائب رئيس التحرير
أحمد العبيدي
رئيس القسم الثقافي
نزار عبد الستار
سكرتير التحرير
وسام عبد الواحد
رئيس القسم الفني
مصطفى الربيعي
الاعلانات:
ads@alsabaah.iq
موبايل:
07809174852
العلاقات العامة
موبايل: 07809174853
pr@alsabaah.iq
info@alsabaah.iq
التوزيع والاشتراكات:
موبايل: 07809210536
dist.imn@alsabaah.iq
IMN PRESS

(متعـددة وجهات النظـر). وينطبق هذا، على سـبيل المثـال، على النسـخة الحديثـة لدانيـال جلاتاور من رواية رسائلية (الخير ضد ريح الشمال).

إن الرواية الرسائلية هي شكل من أشكال السرد بضمير المتكلم يسمح للمتلقي بالانغماس بشكل مباشر وفوري في عالم مشـاعر وأفكار الشـخصية فـي الرواية. يجعل الكاتـب المتلقـي صديقاً مقرباً له ويسـمح لـه بتجربة العمليـات العقلية والحالات المزاجيـة الداخلية الأكثر حميمية للشخصية. وهذا يخلق شعوراً بالألفة والارتباط العميـق والحميميـة لـدى القـارئ مع الشـخصية في الرواية.

إذا كانت الرواية تتكون من رسـائل من عدة مراسلين، فسـيتم تزويد المتلقـي بمنظور مختلف عـن الأحداث. ويتيـح ذلك تمثيلًا متعدد الطبقات لسـمات شـخصية بطل الرواية الرئيسي بالإضافة إلى عمليات الحركة.

### أصل وذروة الرواية الرسائلية

من الصعـب تحديد أصل الرواية الرسـائلية. وحتى في العصـور القديمـة، لجأ الكتاب والفلاسـفة إلى شـكل التمثيل في مجموعات الرسـائل الوهميـة. ومع ذلك، لا يمكـن العثور على كتابات مباشـرة لهذا النوع إلا من القرن الثالث عشـر، على سبيل المثال المراسلات بين أبيـلارد وهيلواز، المدرجة في كتـاب (جان دي ميونج رومـان) بين الاعـوام 1280-1270، وكذلـك الروايات الرسـائل الأخـرى المبكرة نصوص الشـاعر الإسـباني

*الرواية الرسائلية هي شكل من أشكال السرد بضمير المتكلم*

(جان دي سـيجورا) (1548)، والكاتب الإيطالي لويجي باسـكواليتو ليتيـري أمـوروس 1602. بعـد الانتشـار الناجح لهذا النوع في القرن السـابع عشر، وجد نجاحه الكامـل وذروته في أوروبا في القرن الثامن عشـر، وهو ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بثقافة الكتابة المعاصرة المفعمة بالحيويـة. بين عامي 1740 و1800، نُشـرت 700 رواية رسائلية في أوروبا.

انطلقت موضـة الرواية الرسـائلية الأوروبية من خلال نصوص المؤلـف الإنجليـزي صامويل ريتشاردسـون: باميـلا (1740)، كلاريسـا (1748)، والسـير تشـارلز جرانديسـون (1754). وصلـت إلى ذروتهـا في النصف الثانـي من القرن الثامن عشـر. أثرت روايـة جان جاك روسـو الرومانسـية عن سـيرته الذاتية (La Nouvelle Héloïse ) في عام (1762 ) أيضاً على هذا النوع.

تحظى الروايات التي تثير المشاعر بشعبية كبيرة وتمثل فرصة رائعـة لاستكشـاف العواطف، خاصة بالنسـبة للقارئات الإناث. ويتيح هيكل الرسـالة التقارب المباشر مع الشـخصية، وربما حتى نوع مـن التماهي مع كاتب الرسـالة. بالنسـبة لقراء رواية فيرتر للكاتب غوته، فإن الذكور هم من أصابتهم حمى فيرتر وبدأوا بتقليد أسلوب الملابس التـي يرتديها فيرتر، ووصـل بهم الحد لاتخاذ قرار الانتحار بعد قراءتـه، تماهيا مع بطل الرواية، مما أدى إلى منع الرواية لخطورة التقليد.

ومع ذلك، فإن رواية جوته الرسائلية (آلام فيرتر) تمثل ذروة مهمة في هـذا النوع باعتبارها نصاً متماسـكاً فنياً ومقدماً بشكل متسـق. وتُعد رواية (الأنسة فون لاروش 1771) للكاتبة الألمانية (صوفي فون لاروش) وهي أول رواية رسـائلية باللغة الألمانية، ممثلاً بـارزاً لهذا النوع الأدبي.

المصدر:

- Gut gegen Nordwind (Daniel Glattauer, 2006)
- Die Leiden des jungen Werthers (Johann Wolfgang von Goethe, 1774)

* أستاذ الأدب الألماني في جامعة بغداد

# عندما يقترن المكان بأسماء الأدباء

**د. باسم الأعسم**

تعد الأمكنة أحد عناصر الأعمال الأدبية والفنية، على تباين أنواعها، وموضوعاتها، ومقارباتها، إذ تشـكل الأمكنة أنسـاقاً فنية، وتعبيرية، تعزز سلطة الجمال والفن فيها، بقصد تمتين أواصر التلقي مع المتلقي، وما تنطـوي عليه من أهـداف فنيـة، وتربوية، واجتماعية، وجمالية، ومعرفية في الآن نفسه.

إن الأدباء المبدعين، كما المنقبين، يكتشفون الأمكنة، ويقدمونها للآخرين، قـراء، ومتابعين، بهيئـة صور متخيلة، ومثيرة للدهشـة، والجمـال، بعدمـا كانت ربمـا مفقرة من فرط وحشـتها، وبلا لمسـة جماليـة، كالصحراء التي تسـتحيل بفعـل رؤية المبدع إلـى قصة، أو روايـة، أو قصيـدة رائعة، تسـتهوي القراء لجمالها، وتلـك هي وظيفة المبدع، أن يكتشف الأنساق التعبيرية، والثقافية المضمرة، والباعثة على الفن، والذوق، والتأمل، في ثنايا العمل الأدبي، أ الفني المتخيل، أو الواقعي على حد سواء .

ومـن البداهـة القـول : إن الفضل ليـس للأمكنة مهمـا كانت، إنما الفضل لموهبة وخيال الأديب أو الفنان، وقدرته على إعادة خلق المكان فـي مختبر القصيدة، أو الأثر الأدبـي، أياً كان، وإلا فإن الأمكنة قد تبدو متشابهة ورتيبة، لكنها تكتسب أهميتها، وتأتلق، بفعل خيال الأدباء .

إن تلكم الأمثلة وسواها، ترسّخ حقيقة ناصعة، مؤداها : أن الأدباء، والمبدعيـن، مثلهـم كمثل العظمـاء، يضفون على المكان سـحره، وأهميتـه، وفرادتـه، بحيث يقترن وجـوده المعنـوي، أو الاعتباري، بأسـماء الأدبـاء الخالقين لـه، بهيئة صور إبداعية، قـل نظيرها، تبرز الهامـش، وتعلي شـأن المهمـل، حتى يصبح حقيقـة، لكن من صنع الخيال، والوجدان، اللذين مصدرهما الموهبة التي تخلق الأعاجيب .

وهـذا هـو شـرط الإبـداع عندمـا يقتـرن بالموهبـة، ذات المخيِّلة الجامحـة، والتأمل النقدي الخلّاق، فتولّد الآثـار الإبداعية، والفنية، الدالَّة على فسحة الخيال، وعمق الرؤى، وطبيعة المعايشة الواقعية، أو الافتراضية، على حد سواء،

وبفضـل هـذا المنحى الإبداعـي المختلف، تفـردت بعض المدن، والأعمال، والصور المبدعة التي أنتجتها أخيلة كبار الشعار، وأساطين القصة والرواية، والملحمة، والمسـرحية، فخلدت فـي أذهان القراء، جيكـور السـياب، بـل اقترنـت البصرة باسـمه، ودجلـة الخير، كما تخيلهـا الجواهـري، وداغسـتان رسـول حمزاتـوف، ولوكسـومبورغ دوستويفيسـكي، وسـوريا نزار قباني، وأدونيس، والماغوط، والجزائر بأحلام مسـتغانمي، ومصر بطه حسـين، ومحفوظ، وشوقي، وفيالق الأدبـاء، فـي مختلف الأمكنة، التي تتوافق شـرطياً مع أسـماء الأدباء المبدعين، الخالدين في ذاكرة الأجيال، مهما العمر طال، لأهميتهم، واختلافهـم، وثـراء منجزاتهـم، فكانوا الرقـم الأصعب فـي المعادلة الثقافيـة، عنـد مقارنتهـم بالأدعيـاء اللذين يحيـون بلا أثـر دالٍ على وجودهم .

إن هـذا الزخـم الثقافـي والقيمـي الكبير، الذي يمثلـه المبدعون في شـتى صنوف الأدب، والفن، والفكر، يعد طاقة إيجابية، متدفِّقة، تعود بالخير، بما يعزز الشعور بالانتماء للأمكنة.

ولذلـك نجـد أن المؤسسـات الثقافيـة، ذات العلاقـة بالمشـهد الحضـاري، والعمرانـي، تحافـظ علـى البيوت التي نشـأ وترعـرع بها المبدعون، فتستحيل إلى متاحف، إكراماً لما قدموه من منجزات تليق بهم، وبوطنهم، وتسرُّ الناظرين.

وضمن هذا السـياق، سمِّيت بعض الأمكنة بأسماء الأدباء، الذين اسـتحقوا الذكر، والخلود، وبمثل ما تحتفـي الأمكنة بالأدباء، وتقترن بأسمائهم، فإن المبدعين، ينتمون بالفطرة إلى الوطن بوصفه المكان الأبهـى، والأجمل، وتلك هي غريزة الانتماء، التي تسـري مع الجينات لدى المبدعين، الأصلاء.

### الطهطاوي والشدياق أنموذجاً

# الآخر في كتابات عصر النهضة العربيَّة

صفاء ذياب

***يحدّد الدكتور سعيد علوش؛ في (معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة)، تمثيل الآخر بأنّه "دراسة صورة شعب عند شعب آخر باعتبارها صورة خاطئة"، وهو ما أكدّته دراسات الاستشراق وفي مقدمتها مؤلفات إدوارد سعيد وعبد الله العروي وحسن حنفي. وفي هذه النقطة، فإنّ بحث طبيعة الذات بالآخر، وهي النتيجة التي تسفر عنها أنواع أهمّها الآخر الديني والآخر الجندري والآخر الإثني. فعملية وعي الذات ترتبط ارتباطاً مباشراً بهويّتها مقارنة بالآخر الذي تميّزت عنه، البحث عن الذات يقابله؛ بشكل أو بآخر، البحث عن الآخر، ومن خلال المقارنة تتشكّل التمثيلات، ومن ثمَّ المقارنة التي من شأنها أن تعطي صورة واضحة للذات وللآخر في الوقت نفسه.***

وفي سعيه للوقوف على هذا المصطلح (الآخر)، يقدّم الدكتور محمد عابد الجابري في كتابه (الغرب والإسلام.. الأنا والآخر) توصيفاً لجذورها، وصيغتها، مبيناً أنَّ "كلمة (آخر) فإنَّها وإن كانت تدخل عليها (ال) التعريف، فهي في أصل معناها صيغة (أفعل) (أآخر) من التأخّر، أي المجيء بعد، فهي لا تفيد الضدية وإنَّما يقال (لأحد الشيئين) (هذا باب، وهذا باب آخر)، وفيها معنى الصفة والنعت كما في مرادفها (غير). وكلمة (غير) نفسها من الألفاظ الموغلة في الإبهام لأنَّ معناها لا يتضح إلَّا بما يضاف إليه، وهي لا تستفيد التعريف من المضاف إليه إلَّا عندما تقع بين ضدّين معرفتين مثل قولنا (رأيت العلم غير الجهل).

شكلت الصدمة الأولى التي تعرّض لها المجتمع العربي بدخول القوات الفرنسية توتّراً واضح المعالم تمثَّل بطرح أسئلة جديدة على واقعه، منها أسئلة حول الدين والحكم والعدل والسياسة والحرب، فضلاً عن أسئلة حول التعليم والبيت والتربية وغيرها الكثير.. لهذا "اتسمت مسألة (الآخرية) وأسئلة الهوية والاختلاف، في الفكر العربي الحديث، بطابع التوتّر الذي يتجلّى أحياناً في التمزّق بين ماضي الذات وحاضر الآخر، وهو التمزّق الذي يعكس وضعية سايكولوجية وصفها بعض الباحثين بأنَّها (مأساوية انفصامية)، حيث الذات تشعر بتمزّقها بين الحاضر الذي يبرز فيه الآخر الغربي بصورته المزدوجة كمتحضر ومستعمر، وبين الماضي الذي يقبع هناك في زمن مضى وانقضى.

على الرغم من ثلاث سنوات من الاحتلال الفرنسي لمصر (1798-1801)، ومن ثمَّ الشام والمغرب العربي، ليأتي بعده الاحتلال البريطاني لمصر وبقية الدول العربية، إلَّا أنَّ هذه المرحلة لم يكتب عنها بشكل مباشر، إلَّا في الحديث عن المقاومة التي أبدتها الدول العربية والعنف الذي كانت تمارسه الدول المستعمرة. الصدمة الأولى أدخلت العرب في مخاض جديد، وهو أنَّ انغلاقهم لا يعني أنَّه ليس هناك عالم مختلف عنهم، ومن ثمَّ؛ كان عليهم اكتشاف هذا العالم عن قرب، ومن الداخل، فكانت الصدمة الثانية التي تمثَّلت بالرحّالة العرب الذين سافروا إلى دول أوروبا، بعضهم للدراسة، وبعضهم للعمل، وآخرون للسياحة، وبسبب هذه الرحلات بدأ الصراع بين الذات وبين الآخر، كما أنَّ "تغير ذهنية الرحالة يستتبعه قلق وتمزق داخلي إذ تتنازع المرء مؤثرات متناقضة: فمن جهة تمسك العربي بهويته الشرقية العربية القائمة على الموروث التليد الذي مثّل الاستمرار في الزمان، ثم آثار إعجابه بالغرب وتقدمه سؤالاً آخر: إلى أيّ حدّ كان تمسكه بهذا الموروث العربي الأصيل سبب جموده، وتخلفه. ولذلك رغب، من جهة ثانية، في اقتباس الحضارة الغربية التي اعتبرها القوّة والتطوّر، غير أنَّه خاف أن يكون اقتباسها سبب ضياع وفقد الهوية. وتجلّى هذا الصراع الفكري والحضاري بوضوح في أدب الرحالين لأنَّهم لمسوا عن كثب الفوارق بين الحضارتين العربية والأوروبية"، حسب ما ترى الرحّالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، الدكتورة نازك سابا يارد.

صدمة الآخر الثانية بدأت- بحسب نازك سابا يارد- مع البعثات التي أرسلها محمد علي باشا إلى باريس التي انطلقت في العام 1826 حينما بعث رفاعة رافع الطهطاوي؛ وهو الأزهري، مشرفاً على طلبة للدراسة في باريس، وبعد ثلاث سنوات من عودته في العام 1831، نشر الطهطاوي كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي دوّن فيه مشاهداته في العاصمة الفرنسية باريس، ليأتي بعده أحمد فارس الشدياق الذي هرب من لبنان وعاش في لندن لثلاث سنوات، وسنوات أكثر للعمل في مالطا؛ إذ ألّف كتابه المعروف (الواسطة في معرفة أحوال مالطة)، ومن ثمَّ فرنسيس فتح الله مرّاش، وفرح أنطون، وقبلهما خير الدين التونسي، و"نلاحظ أنَّ كلاً من الطهطاوي وخير الدين والشدياق ومرّاش قد أحس بالحاجة إلى تدوين مشاهداته وانطباعاته في أسفاره، لا حاجة ذاتية، بل حاجة سياسية واجتماعية، إذا صح التعبير. أو قل، هي الذاتية الفردية التي اتسعت حتَّى غدت قضايا السياسة والاجتماع حالات انفعال فيها. ذلك أنَّ رحالينا شاهدوا واقع المجتمع الغربي وشعروا بالفرق الشاسع بينه وبين مجتمعهم الشرقي في المضمار السياسي والاجتماعي والعلمي، فأبدوا إعجابهم بمعظم ما رأوا في الغرب، كما أعربوا عن ألمهم لتخلف الشرق، وأحسّوا بأنَّ هذا الشرق لن يتطوّر إلَّا إذا اقتبس علوم الغرب ونظمه السياسية والاقتصادية. وعليه قال الطهطاوي إنَّه وصف مشاهداته في فرنسا كي يوقظ (من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم)، بل حثَّ الشدياق معاصريه على السفر إلى أوروبا ليدوّنوا مشاهداتهم في كتب تفيد الشرقيين... إلَّا أنَّ رحّالينا نظروا إلى الحضارة الغربية بعيون شرقية كوّنها موروثهم التاريخي والحضاري والفكري والديني، ومن هنا نشأ الصراع الفكري والحضاري". اهتم الرحّالة بالنظر إلى الآخر من جوانب عدَّة، لكن أهمها كان اهتمامهم بنظم الحياة اليومية، والعدالة والديمقراطية، وكان في مقدّمة

رفاعة الطهطاوي — أحمد فارس الشدياق

اهتمامهم التفاتهم للنظم السياسية التي كانوا يعدّونها هي المؤسّسة الرئيسة للتحوّلات التي تطرأ على أيّ بلد، ولا تكتم الدكتورة نازك سابا يارد رأيها، حين تصرّح أنّ "أهم الأسباب التي دفعت الرحالين المسلمين، لا المسيحيين، إلى العناية بالنظم السياسية هو شعورهم بأن انتصار الغرب السياسي والاقتصادي والحضاري يهدّد الإسلام نفسه إن لم يتدارك الأمر بالإصلاح. وقد عبّر رفاعة عن هذا الإحساس حين قال: (لولا أن الإسلام منصور بقدرة الله سبحانه وتعالى لكان كل شيء بالنسبة لقوتهم (يعني الإفرنج) وسوادهم وثروتهم وبراعتهم وغير ذلك)". وغالباً ما كان التنويريون العرب يقارنون بين حالهم وما وصل إليه الغرب، هذه المقارنة التي كان دافعها الأوّل إصلاح التخلّف الذي تعيش فيه المجتمعات العربية، ومن ثمّ سعيهم لإخراج هذه المجتمعات من الجهل بما يدور حولهم، وبالحال الذي وصلوا إليه.

### بين الطهطاوي وشدياق

أهم ما قدمه اثنان من أوائل التنويريين العرب، وهما رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق، أنّهما تمكّنا من قراءة الواقعين: العربي والأوروبي، وكتبا مقارنين بين هذين الواقعين، في سعيهما لإيقاظ العقل العربي من سباته، ودعوتهما لتكون مجتمعاتهما ضمن حركة التاريخ التي لن تتوقّع، وبدلاً من أن تكون تلك المجتمعات من التاريخ، طالبا بأن تكون في التاريخ نفسه... فأشارا إلى أنّه كان من نتائج الثورة الفرنسية فصل الدين عن الدولة، وإن بقيت الكاثوليكية دين الملوك الفرنسيين ومعظم الشعب. ولكن يبدو أنّ الطهطاوي لم يلحظ ذلك، أو أنّه لم يعره اهتماماً خاصّاً. ففي ما أورده كلّه عن نظام الحكم الدستوري في فرنسا، لم يشر مرّة واحدة إلى أنّه نظام علماني فصل الدين عن الدولة، بل حاول، على العكس من ذلك، أن يجد في الإسلام والشريعة أسس نظم الحكم البرلماني الأوروبي.

أمّا الشدياق، فليس في دين آبائه ما يرتبط بالنظم السياسية من قريب أو من بعيد، بل رجع إلى قول المسيح "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله" ليؤكّد "أنّ المسيح ورسله أقروا ذوي السيادة على سيادتهم". فما دام المسيح قد وضّح أنّ لكلّ من الدين والسياسة ميدانه الخاص، سهل على الشدياق أن يؤمن بوجوب الفصل بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية. ودعا إلى سيادة الأولى على الثانية حين عرض لمحنة أخيه أسعد وتهجّم على الكنيسة المارونية واتهمها بالخروج عن ولاية السلطان العثماني وإقامة دولة داخل دولة حين حاكمت أسعد بدلاً من أن توكل أمره إلى حاكم شرعي، الدكتورة نازك سابا يارد.

وأفضل ما قدّمه التنويريون العرب في حديثهم عن الحكم في أوروبا أنّه لم يكن صالحاً لأنّه مقيّد فحسب، بل لأنّه ليس فردياً. فوجود مجلس النواب يحفظ للرعية حقوقها وحريتها. ففي الفصل الثالث من المقالة الثالثة من "تخليص الإبريز" رسم الطهطاوي صورة مفصّلة للوزارات والدواوين في فرنسا، و"لديوان رسل العمالات" المنتخب. وترجم كلٌّ من الطهطاوي وخير الدين القوانين الخاصة بإجراء الانتخابات في فرنسا ليعلّما مواطنيهما أصول النظام الديمقراطي ومبادئه. كذلك وصف الشدياق مجلسي الأعيان والنوّاب في انكلترا، مبيناً ما نجم عن هذا النظام من أمن وعدل وازدهار. وقبل أن يغادر الطهطاوي فرنسا، اندلعت ثورة سنة 1830، فخصّها بفصل من "تخليص الإبريز" مبيناً أسبابها، مبدياً إعجابه بإباء الفرنسيين وحرصهم على حريتهم، وتوصّلهم إلى اختيار ملكهم. فيحس القارئ بأنّ الطهطاوي سلّم بحق الشعب في اختيار ممثليه، ومحاسبتهم على أعمالهم، والثورة عليهم إذا أهملوا واجباتهم أو نقضوا القوانين. غير أنّ هذا الموقف تغيّر في "مناهج الألباب" ولعلّ الحكم الأوتوقراطي في مصر، وما أصاب الطهطاوي حين نفاه عبّاس، هو الذي جعله يخفّف من غلواء حماسته. فآن عرض لموقف الشعب من الحاكم الذي يرفض أن يتقيّد بالقوانين صرّح بأن "عليهم الطاعة الكاملة له لقوله تعالى: أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".

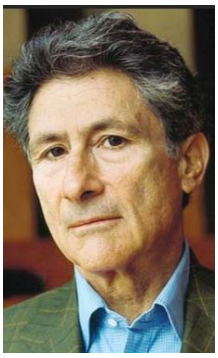
إدوارد سعيد

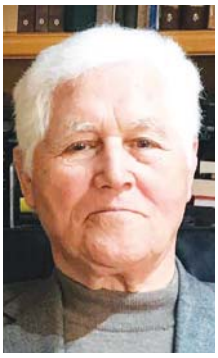
عبد الله العروي

غير أنّ الشدياق لم يبال كثيراً بنظم الحكم في أوروبا، وحين التفت إليها قيّمها تقييماً أخلاقياً لا سياسياً، ولم يقرنها بنضال الشعب من أجل الحرية والمساواة، بل بفكرة العدالة بمعناها القانوني. فرأى، مثلاً، أنّ مظاهر العدل التي شاهدها في إنكلترا جاءت نتيجة اختصاص الموظفين كلٌّ بعمله، ومعرفتهم واجباتهم وحقوقهم، ولم يبيّن أنّ هذه العدالة كانت ثمرة صراع طويل بين سلطة حاكمة مستبدة وشعب قيدها تدريجياً. وعليه استنتج الشدياق أنّ مظاهر الظلم في الشرق ناجمة عن أنّ الشرقيين لا يعرفون حقوقهم وواجباتهم، ويتدخّلون في ما لا يعنيهم.

من جانبها، تشير إليزابيث سوزان كسّاب في كتابها (الفكر العربي المعاصر.. دراسة في النقد الثقافي المقارن)، إلى أنّ الاحتكاك المكثّف مع أوروبا ساهم، خلال القرن التاسع عشر، في رسم صورة معيّنة لتلك القارّة، ترافقت مع بروز تحليلات عن المنطقة العربية. وسرعان ما تغيّرت هذه الصورة تزامناً مع تغيّر نوع الاحتكاك، وتحديداً حين تحوّلت القوى الأوروبية إلى دول استعمارية محتلّة. بصورة عامّة، كام مفكّرو عصر النهضة يتوقون إلى استيعاب أسرار التطوّر وفهم الأسباب الكامنة وراء تقدّم أوروبا وتفوّقها على أمل تطبيق الخطوات نفسها في مجتمعاتهم الخاصة. بالنسبة إلى البعض، تركّز الاهتمام الأكبر على اكتساب مصادر القوّة من أوروبا بهدف استعمالها ضدّ توسعها الاستعماري. كذلك، برزت الحاجة إلى تحديد الهوية

حسن حنفي

محمد عابد الجابري

الذاتية في وجه هذه الثقافة المنتشرة وفي وجه الحداثة التي رافقتها. وتقدّم كسّاب عدداً من الأسئلة التي كانت بحاجة إلى إجابات خلال القرن الثامن عشر: كيف يمكن تحديد الثقافة المصرية، أو العربية، أو المسلمة بالنسبة إلى الثقافة الأوروبية؟ ما هو الرابط بين الثقافتين؟ هل يمكن إيجاد جذور أو أوجه أو عناصر مشتركة بينهما، أو أن الثقافتين غير قابلتين للمقارنة؟ ركّزت مختلف الأجوبة على العدل السياسي، والعلم، والدين، والتمييز الجنسي بطرائق مختلفة. وفي الوقت نفسه، يسعى الطهطاوي إلى فهم أسرار تطوّر تلك المدينة على أمل اعتمادها في بلده الأم الذي يتخلّف، في رأيه، عن المجتمع الفرنسي على مستويات عدّة. وفي معظم الأحيان، يبدو الكاتب منذهلاً بما يراه من دون تبريرات متنوّعة لتفسير سبب بحثه عن مبادئ التطوّر في بلد غير مسلم وفي إنجازات غير دينية. و"يؤكد الكاتب أنّ إيمانه يشجّع المسلمين على البحث عن المعرفة والحكمة في جميع الأماكن، وأنّ هذه الحضارة الأوروبية ليست غريبة كلّياً عن المسلمين لأنّها ترتكز على العلوم الإسلامية التي صُدّرت إلى أوروبا في القرون الوسطى، وأنّ الإنجازات التي يجب الاقتداء بها كانت نتاج جهود الإنسان، لا الديانة المسيحية مثلاً- ومنذ ذلك الحين، أصبحت هذه التبريرات حججاً ثابتة للدفاع عن الاستعارة من الأجانب". فالطهطاوي يكتب بأسلوب ينمّ عن فضول كبير بشأن حيّز واسع من جوانب الحياة في باريس: العادات والتقاليد الاجتماعية، الأدوار الاجتماعية للجنسين، الهندسة المعمارية والهندسة الداخلية للمنازل، طبيعة وسائل الترفيه في الداخل أو في الخارج. كذلك يصف الكاتب المتاجر والمطاعم والمقاهي وقاعات الاحتفالات والمسارح والمتاحف؛ ويتكلم على نظام النقل، وخدمة البريد والضرائب؛ وينقل حالة المستشفيات، والمدارس والجامعات؛ ويتطرق إلى الصحافة، والمؤسسات الاقتصادية والمصانع؛ ومن ثمّ يقدّم شرحاً مفصلاً عن انتفاضة باريس في العام 1830.

فرنسا التي اختبرها الطهطاوي في باريس تحوّلت، وكذلك بريطانيا، إلى قوّة محتلّة في المنطقة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومن الواضح أنّ هذا التغيير الهائل أثّر في نظرة العرب إلى أوروبا، التي لم تعد تعتبر في المقام الأول مهداً للتطوّر الحضاري، بل هي تهديد ملموس عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً. "فهم لم يتوقّفوا عن الاعتراف بتفوقها الحضاري، ولكنّهم باتوا الآن يعتبرون هذا التفوّق تفوقاً في النفوذ وسط صراع خطير، وتحوّل البحث عن أسرار التطوّر إلى بحث عن وسائل لاكتساب النفوذ. لذلك، طغى على أفكار العرب حول الثقافة والسياسة والغرب القلق بمسألة النفوذ، والصراع على السلطة والانشغال بفكرة أنّ أوروبا هي قوّة خطيرة. وهكذا برزت أوروبا التكنولوجية، وأوروبا الثقافية، وأوروبا السياسية: الأولى يجب تقليدها لأسباب تقنية، والثانية يجب رفضها لأسباب متعلّقة بالسيادة. بالنسبة إلى البعض، يفتقر هذا التمييز إلى الرابط الأساسي بين تلك الجوانب، وتحديداً الجانبين الأولين، ولاسيّما الجانب المعرفي والجوانب الثقافية والإنسانية والديمقراطية الأوسع، بالرغم من جميع جدليات التنوير والحداثة. وبالنسبة إليهم، يمنع هذا التمييز تحقيق عدالة فاعلة، وبالتالي يرسّخ التراجع والتبعية. وعلى ما يبدو، تزيد هذه الاعتبارات كلها في صعوبة تكوين فكرة متماسكة وبنّاءة عن الغرب "كما تدوّن كسّاب.

وبملاحظة بسيطة، فإنّ الرواد الأوائل، من أمثال ناصيف اليازجي (1800-1871) وأحمد فارس الشدياق (1804-1887) وبطرس البستاني (1819-1883)، قاموا بترويج رؤية معيّنة خاصّة بمفهوم الهويّة، ترتكز على الإرث الأدبي العربي وتاريخ العرب المشترك، فضلاً عن التعاضد حول هذه الهويّة في مختلف الفئات الدينية، لكن ضمن حدود السلطنة العثمانية. غير أنّهم في الوقت نفسه أسّسوا لمفهوم آخر، وهو البحث عن المختلف عنهم، ديناً وفكراً وطبيعة اجتماعية، ليقدّموا رؤاهم عن كيفية الدخول إلى قلب التاريخ، وعدم ارتباطهم بالماضي فحسب، حتّى على مستوى رجال الدين، من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومن ثمّ عبد الرحمن الكواكبي، فإنّهم حين طالبوا بالالتزام بالشريعة الإسلامية والابتعاد عن التقليد الأعمى للغرب، فإنّهم في الوقت نفسه رفضوا أن تكون تلك الشريعة كما كانت في صدر الإسلام، بل اتخاذ فترة الخلفاء الراشدين نموذجاً، مع تقديم رؤى جديدة عن حياتهم المعاصرة، وتطوّر المعاملات الدينية تبعاً للتطوّر الذي يطرأ على الحياة الاجتماعية والسياسية عموماً.

*حين يسيل القلم حبرا، وتخط الأنامل أحرفا ، وتستحضر الذاكرة كلمات، يتجلى الإبداع، إبداعٌ على خطى النجوم، لا لأنه احترافٌ عراقيٌ بامتياز في بلد المهجر، بل لأنه قد رفد هذا المهجر وغيره وأصبح علامة مضيئة في واحدة من أكبر الجامعات عالميا .*
*"الصباح" التقت الروائي والتشكيلي منذر المدفعي وأجرت معه هذا الحوار ...*

غيث طلال

# منذر المدفعي
# من دفتر مذكرات الطفولة إلى رواية بغداد 91

***- حدثني عن البدايات وكيف تمكنت من أن تسطر الكلمات ضمن روايات أصبحت ضمن منهاج جامعات رصينة ومرموقة ؟***

هناك عدة عوامل دفعتني إلى الأمام بخطوات ثابتة ورصينة، وكانت هي نواة الانطلاق إلى ما أصبوا إليه، أولها دراستي الجامعية في الجامعة المستنصرية قسم اللغة الفرنسية ، ودراسة الدبلوم في اللغة الفرنسية من المركز الثقافي الفرنسي ببغداد عام 1999 ، فبالإضافة لتعلمي لغة أجنبية وحيوية، تمكنت من الاطلاع بشكل مكثف على الأدب الفرنسي وأساليب كبار المؤلفين والشعراء.. هذه الدراسة منحتني الأدوات التي كنت بحاجة إليها للتأليف ، فملكة التأليف والموهبة لا تكفي وحدها لتقديم أعمال روائية رصينة.

عقب عام 2003 بدأت العمل مع مكتب راديو فرنسا الدولي في بغداد، وعدة وسائل إعلام فرنسية. هذا الأمر سهل لي السفر إلى باريس، ومع وصولي كان هناك مشروع من قبل الرئيس الفرنسي السابق جاك شيراك، وهو افتتاح قناة فرنسية دولية ناطقة باللغة العربية ، فكنت من بين المرشحين للعمل في القناة وإلى يومنا هذا، فتمكنت من اعتلاء منصب مسؤول النشرة الإخبارية، وأثناء العمل الصحفي درست العلوم السياسية في جامعة السوربون بباريس، ونلت البكالوريوس في عام 2012 والماجستير في عام 2014 وتخصصت في علم الاجتماع السياسي، هذا التخصص منحني رؤية أكثر عمقا للمجتمعات والحركات الشعبية . وربما هذه الدراسة كانت من بين العناصر المهمة التي سهلت لي تأليف عدد من الروايات التي تتطرق للحياة الاجتماعية بأسلوب أدبي، ومن بينها رواية "بغداد 91"، وهي آخر الروايات التي كتبتها قبل عدة أشهر، وصدرت عن دار وتر في البصرة . الرواية تحكي الواقع الاجتماعي في بغداد قبل اندلاع حرب الخليج الأولى

"عاصفة الصحراء"، والرواية مستقاة من دفتر مذكراتي الذي ما زال يرافقني حتى اللحظة منذ أن كنت في الثانية عشرة من عمري، وكانت أول محاولة للكتابة آنذاك ، لكنني لم أعرف حينها أن هذا الدفتر سيسرد تفاصيل حرب بأكملها .

بعد مرور أعوام طويلة جاءت الفكرة بشكل مفاجئ بأن أبحث عن هذا الدفتر وأعيد صياغته بشكل روائي، مع المحافظة على بنائه الأساسي كدفتر مذكرات.

هذا العمل ليس رواية في أدب الحرب، لأننا تعودنا على قراءة كتب الحروب من الكبار، لكننا لا نمتلك كتابا عن حربٍ يُسرد على لسان طفل، ونحن نعلم جيدا أن أصدق الكلمات تأتي غالبا من أفواه الصغار، فقد أظهرت من خلال الرواية تأثير الحرب في حياتي اليومية وحياة العائلات المحيطة بي، فالرواية تعرض ظروف حرب الخليج من وجهة نظر طفل كتب على أوراق تؤرخ لمرحلة حرجة من تاريخ العراق المعاصر

الذي شهد بعدها الكثير من المتغيرات.

أما رواياتي الأخرى فهي ثلاثية روائية بعنوان ثلاثية بغداد وتتألف من:
رواية "أيام قبل السقوط" في عام 2013 عن دار ضفاف للنشر والتوزيع في لبنان، وتم إدخالها ضمن المنهج الدراسي لقسم اللغة العربية في جامعة السوربون عام 2014 ضمن مادة الرواية الحديثة.
كما تم إدراجها أكاديميا في جامعة بوضياف الجزائرية عام 2015 لتصبح مادة للدراسة لنيل شهادة الماجستير، بعنوان "بنية الشخصية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي"، وفي عام 2020 بعنوان "لسانيات الخطاب والأنساق الثقافية في رواية أيام قبل السقوط لمنذر المدفعي".
أما رواية "حراس البوابة"، فقد صدرت في عام 2017 عن دار النخبة للنشر والتوزيع في القاهرة، وهي عمل أدبي يتطرق لسرقة وتهريب الآثار العراقية؛ وتسلط الضوء على الجذور التاريخية لعمليات نهب الكنوز الأثرية من البلاد، وكذلك عن مأساة الموصل التي تجددت معها عمليات نهب المواقع الأثرية. يكتشف القارئ عبر صفحات الرواية أن هذه الظاهرة ليست وليدة اليوم، ولم تبدأ مع ظهور الجماعات المتطرفة، وإنما لها جذور تاريخية بدأت مع الإرساليات التبشيرية البريطانية في عام 1846..
تم إدراج الرواية أكاديميا في الجزائر لنيل شهادة الماجستير في عام 2023—2024 بعنوان سردية الواقع

والمتخيل في رواية حراس البوابة لمنذر المدفعي.

***- حدثتني عن منذر الروائي.. حدثني عن منذر التشكيلي؟***

شاركت في عدة معارض للفن التشكيلي في باريس، أنا عضو حركة الرسم الحضري الفنية في باريس منذ عام 2017 وهي حركة فنية انطلقت في نيويورك، تعنى برسم وتوثيق مشاهد الحياة في المدن.. واستثمرت هذا الأمر من خلال تواجدي في العشرات من التظاهرات والحركات الاحتجاجية في باريس، الأمر الذي مكنني من تجسيد ونقل تلك الأحداث من خلال عدد من الرسوم، التي عَكستْ من خلالها الكثير من اللحظات المعقدة التي يتعرض لها المتظاهرون وقوات الشرطة على حد سواء.

***- وما النمط التشكيلي الذي تتبعه ؟***

نمطي في الرسم هو الواقعية، فلوحاتي تعرض غالبا مشاهد الحياة اليومية للمدن، أو تقدم رؤيتي الخاصة عن المعالم التاريخية والصروح الحضرية التي يحالفني الحظ بزيارتها.
أستخدم تقنيات الألوان المائية في الرسم، فهي تمنحني حرية أكبر، أشعر بتعلق بالألوان المائية لأن الماء يمثل الحركة، الجريان والشفافية، هو أجمل مادة يمكن استخدامها في بناء العمل الفني.
كما أركز في توجهي الفني على رسم مشاهد من الحياة اليومية في عدة مدن حول العالم: ودائما بتقنية الألوان المائية وبأسلوب يوربان سكيتشير. حاليا أستعد لإقامة معرض فني خلال الأسابيع القادمة عن لوحاتي الخاصة بالتظاهرات والحركات الاحتجاجية في باريس.

***- كيف نمت وتطورت لديك موهبة الكتابة والرسم في آن واحد ؟***

منذ الطفولة كان لدي شغف بالقراءة، وتجلى ذلك بوضوح من خلال مواظبتي على شراء مجلات الأطفال ( مجلتي ، المزمار ، الرجل الخارق )، وكذلك إصدارات دار ثقافة الأطفال. هذه المطالعات المبكرة والمستمرة حفزت لدي الرغبة بالكتابة والتأليف، كما أنها دفعتني نحو الرسم على اعتبار أن كتب الأطفال تعتمد بشكل أساسي على الرسوم.

***- إلى أي المدارس الأدبية تنتمي؟***

لا أستطيع تصنيف نفسي ضمن إحدى المدارس الأدبية أو الروائية، لأن هذا تقييد للكاتب أكثر مما هو نهج يتم اتباعه لتسهيل الإنتاج الأدبي. ومع ذلك أنا أركز في رواياتي على الجوانب التاريخية والاجتماعية .

***- أخبرني عن آخر أعمالك الأدبية أو الفنية وما هو جديد؟***

أعد حاليا لكتاب باللغتين الفرنسية والعربية عن بغداد، وهو عمل يعتمد بشكل أساسي على الرسوم (السكيتش )، وتم الاتفاق مع وزارة الثقافة العراقية على تبني هذا العمل والتكفل بتوزيعه ونشره . أما الهدف الأساس من هذا الكتاب فهو نقل الصورة الحقيقية للأجانب عن بغداد من دون رتوش. الكتاب سيأخذ القارئ في زيارة لبغداد ومعالمها وأحيائها، وهو حافز لزيارة العراق بشكل فعلي .

# إلياس خوري: حين تكون الثقافة سلاحاً كونياً

***إذا كان الأدب الفلسطيني منذ منتصف القرن الماضي إلى نهايته قد اتسم في أغلبه بروح المقاومة المسلحة والتصوير الإنساني للمآسي كما في قصائد سميح القاسم ومحمود درويش وروايات غسان كنفاني وأميل حبيبي ورشاد أبو شاور وغيرهم، فإن روح المقاومة مع مطلع القرن الحادي والعشرين صارت تتسم بطابع فكري متخذة من العقل دريئة، بها تهاجم الاستبداد والتزمت الفكريين فيستجيب لها من يتمتع بروح الانفتاح مؤمناً بإنسانية عالمية تضم الجميع مختلفين وغير مختلفين.***

**د. نادية هناوي**

وهو ما تبنّاه الكاتب الفلسطيني إلياس خوري في روايته (أولاد الغيتو) 2016 وفيها يستحضر السارد الذاتي" آدم" قصة وضاح اليمن ممثلاً بطريقة موته وحيداً في سبيل محبوبته "روضة" على الحلم الفلسطيني في استعادة الأرض من المحتل الصهيوني. وتظل الثقافة هي الحل، ومعها يصبح العالم منفتحاً في اختلافه وتنوعه. وتتسع المساحة الرومانسية لذاك الحلم فتشمل الذات الفلسطينية والآخر اليهودي المختلف معها (القارئ الذي سيجد في حكاية وضاح اليمن رمزاً فلسطينياً سيجد في هذه القصة استعارة إنسانية عن الفلسطينيين وعن كل المضطهدين في العالم بل عن اليهود أيضاً)

ويعجز السارد الذاتي اجتماعياً عن الإحساس بالمواطنة. والسبب تجربة حبه الفاشلة لدالية (أريد الهرب من هذا المكان الذي يخنقني ونسيان هذه المرأة التي زال سحرها فجأة كأن لم يكن وضربني الأسى لا لأنني فقدتها حين مضت لا أعلم إلى أين بل لأنني فقدت نفسي.. وأنني دخلت في دوامة يأسي من نفسي وهي الدوامة التي سوف تقودني بعد ذلك بستة أشهر إلى الهجرة إلى أمريكا) ويتسع هذا المنظور السلبي ليشمل الوطن الذي ما عاد ممكناً استعادته فلقد ضاع، وصار التشتُّت والترحال الدائم في بلدان العالم قدراً مكتوباً على الفلسطيني (هكذا سأكتب وصيتي فأنا لا أملك قبراً في بلاد لم تعد بلادي كي أطلب أن أدفن فيه معانقاً أرواح أجدادي)

وإذا كان اتخاذ الثقافة سلاحاً لا يشتمل على عنف، فلأن الكتابة تحيل الصمت إلى كلام. فيصمم البطل على رفض الصمت وإعلان الكلام من دون غضب لأنه لا يريد أن يكون مصيره كمصير وضاح الذي ما نفعه صمته في الإعلان عن احتجاجه (سكت الشاعر لأنه أراد أن يحمي حبيبته فصار صندوق موته الذي قبره فيه الخليفة الوليد بن عبد الملك هو صندوق حبه) وتظل الكتابة سبيلاً مهماً به يظل المرء بعيداً عن النسيان والاندثار (هكذا أكتب وصيتي فأنا لا أملك قبراً في بلاد لم تعد بلادي كي أطلب أن أدفن فيه، وبدل أن أعانق أرواح أجدادي سوف أعانق في هذا النهر أرواح الغرباء) وكل ما يكتبه السارد هو عبارة عن معبر يوصله إلى ذاته فلا حاجة من ثم إلى الترميز أو الغموض (وحدتي كتابتي وستكون عنواني الوحيد لم أنجح في كتابة الرواية التي أريد فأنا أردت كتابة استعارة كبرى استعارة كونية صنعها شاعر عربي مغمور عاش في العصر الأموي ومات كما يموت الأبطال وفجأة اكتشفت أن الاستعارات لا تجدي) والمقاومة عبر اتخاذ الثقافة سلاحاً تعني المجادلة الفكرية التي تجعل السارد البطل يعبر عن رؤاه بكل حرية، غير متردد ولا متوان من أن يصف الإسرائيليين بالأصدقاء، منتقداً إياهم على الطريقة التي بها استغلت الصهيونية العالمية حادثة (الهولوكوست) كي تكسب تعاطف الرأي العام معها (كنت أشعر بالاختناق كلما قرأت في وجوه بعض الإسرائيليين من أصدقائي أو في النصوص الإسرائيلية ازدراءً أو نقداً ليهود أوروبا الذين سبقوا إلى الذبح كالأغنام. أنا اعتقد أن تحولهم إلى هذه الصورة كان بطولة وأن النقد الأجوف الموجه إليهم يدل على حمق من يعتقد أن القوة ..سوف تدوم إلى الأبد بل ربما كان هذا الازدراء هو العلامة الأولى للعنصرية التي سوف تتفشّى كالوباء في المجتمع السياسي الإسرائيلي) وتحمل الحرية الفكرية السارد على نقد الذات أيضاً ملقياً باللوم على الفلسطينيين ومنتقداً العالم الذي يسكت على جرائم الاحتلال، يقول وهو في معرض الإشارة إلى رواية (رجال في الشمس) لغسان كنفاني:( السؤال الحقيقي ليس عن خرس الفلسطينيين بل عن صمم العالم عن سماع صراخهم)

إن هذا التسلح الكوني بالثقافة واتخاذ الثقافة أداة كونية للمقاومة هو أمر عام شمل الرواية الفلسطينية الراهنة تقريباً، ودفعها إلى تناول قضايا الإنسان والوطن وطرح الرؤى الفكرية بعمومية تتعدى الانغلاق على الذات الفلسطينية التي تقتصر الإشارة المباشرة إليها على مواضع محددة في الرواية كالاستهلال أو الإهداء، وهو ما أعطى لكتّابها طابعاً كونياً.

وهذا ما لم تستطع بعض الروايات العربية غير الفلسطينية أن ترتفع بنفسها وتمثله بطريقة فنية كالذي فعلته الرواية الفلسطينية، ومثالنا على الرواية العربية (مصابيح أورشليم) التي كانت تناصاتها الكثيرة مع الرواية الإسرائيلية محملة بوجهة نظر أحادية مضادة، تزدري العرب قاطبة وترى في المقاومة الثقافية فعلاً سلبياً. ولم يجد الكاتب سبيلاً للتعبير عن هذه النظرة سوى بالميتاسرد والتناص فكان أن تركزت وجهة النظر الايديولوجية على القدس بصورتها الأورشليمية كشوارع وأزقة وحارات تاريخية، تبدأ من جديد بيهود الأشكناز والسفارديم وبولونيا وليتوانيا وفرنسا واليمن والحبشة مع قصدية واضحة في تكرار هذا التناص الشعري (ازحفوا لقد وصلنا وصلت جنود يهوه إلى مبتغاها راياته راياتكم فليحمي الهيكل ومن لا يعجبه فليتخوزق من مؤخرته .. لا تسألوا من هو المسؤول عن موت أكثر أحبابكم في الهولوكوست كل شخص ليس منكم هو من أعدائكم) وكان بإمكان الكاتب أن يفيد من سيرة إدوارد سعيد فيجعل منها نصّاً مفتوحاً على العالم يفضي بالرواية إلى رؤية كونية، كان سعيد قد اتخذ منها سلاحاً ثقافياً، وبسببها تعرض إلى معاداة الغرب. ومع ذلك، لم يكف البتة عن تأكيد كونية هويته الفلسطينية، مكرراً القول: إنه شخص فلسطيني بلا جنسية وخارج المكان.

*تتناول مقالتي هذه مشكلةَ المجلاتِ الأكاديميةِ الورقية، والتحرِي عن تكلفتِها؛ ومشكلات ظهورِ النشر الإلكتروني؛ وهل يُعدُّ النشرُ في المجلاتِ الورقيّة مؤشرَ جودةِ البحث؛ أم خِلافَها، وأبيّن أيضاً انتقاداتِ أنظمةِ (مراجعةِ الأقران)، وسوءِ الممارسة، وانحطاط المستوى أحياناً.*

*تُشكل القضايا آنفة الذكرِ مجتمعةً نقداً لعمليةِ تحويلِ الأوراقِ البحثيةِ إلى بحوثٍ في مجلاتٍ علميةٍ؛ كانت في الماضي تعدُّ غير إشكالية؛ لذا سأجمع مجموعةً من الأدبياتِ لفهم مستقبل المجلات الأكاديمية، وأقدِّم نظرةً عن كيفيةِ عملِها اليوم، وهذا ما سيثيرُ تساؤلاتٍ حولَ القراراتِ التي يتعيَّن اتخاذُها؛ في ما يتعلَّق باستمراريةِ المجلةِ الأكاديميةِ التقليدية أو إلغائها.*

# هل للمجلات الأكاديميَّةِ مُستقبل؟

جابي وينر

ترجمة: د. فارس عزيز المدرس

تشير مجلةُ Education Policy Archives Analysis المتاحةُ على الإنترنت إلى سببِ الأزمةِ التي يعيشها النشرُ العلمي؛ إذ أصبح مستقبلُ المجلاتِ الورقية موضعَ شكٍّ؛ بسببِ ظهور المجلاتِ الإلكترونية؛ التي بلغ عددها 1465 عام 1997؛ لكنها باتت عُرضةً للتهديدِ من لدن قِوى أخرى؛ نتيجة للثقافات التي تتبنَّى مبدأ "النشر أو الهلاك"، والاستخدام المتزايد للمجلات الأكاديمية كوسيلة لتقييم جودةِ المنح الدراسية.

إنَّ التحدِّي الذي يواجه الطباعة يحمل إشاراتٍ إلى أنَّ هيمنة المجلات الورقية ربما تكون قد اقتربت مِن نهايتها، وعلى الرغم مِن أنَّ بعضَ الأكاديميين وأمناءَ المكتباتِ راحوا ينتقدون نظامَ النشر الأكاديمي الحديث؛ فآخرون لا يظهرون سوى القليلِ مِن عدمِ الرضا، فهم مهتمّون بتعزيز علاقاتهم مع الناشرين، فأصبح مُنتجو المعرفةِ هم مستهلِكوها الأساسيون.

أصول المجلة الأكاديمية: العناصر التقليدية

هناك خلافٌ بشأن أصولِ المقالة الأكاديميةِ اعتماداً على التخصُّصِ؛ إذ ظهرت أولُ مجلَّتين علميتين عام 1655 في كلٍّ من فرنسا وبريطانيا، ثم طوَّر علماءُ القرنِ السابع عشر مجموعةً مِن الاستراتيجيات، وفي وقتٍ لاحق أدَّى فهم الطبيعة المعقدة للظاهرة إلى اتباع نهجٍ أكثر اتساقاً. والمجلات العلمية اليوم مصمَّمةٌ على غرار تلك التي تطوَّرت في ألمانيا في القرن التاسع عشر؛ لإضفاءِ التماسكِ على التخصُّص، وجعلها وسيلةً لتوصيل المعرفة بين العلماء ذوي التفكير المماثل.

### المجلاتُ الأكاديمية اليوم

على الرغم مِن الأصولِ البعيدةِ للنشر الأكاديمي فقد توسَّع وتنوع واحتضن عدداً كبيراً من الأشكال: مثل كتبٍ كتبها مؤلفٌ واحدٌ أو أكثر، ومقالاتٍ حرَّرها أكاديميٌّ واحد أو يزيد؛ أو رسائل الدراسات العليا. ومع ذلك تتميَّز المجلةُ الأكاديميةُ بأنَّ مقرَّها في الجامعة؛ وتشمل محررين أكاديميين؛ ومحكِّمين يُطلب منهم تقديمُ التوصياتِ بشأنِ ما إذا كانت المخطوطاتُ المقدمة تستحق النشرَ أمْ لا.

تُستخدم المجلاتُ الأكاديمية بثلاث طرُق رئيسة: أولاً: إنتاج المعرفة الأكاديمية ونشرها، وثانياً: تصنيف

الأبحاثِ العلمية لتحديد توزيع أموال البحث؛ وثالثاً: إبلاغ القرارات المتعلقة بالتعيين والترقية. وقد أدى العاملان الثاني والثالث، إلى جعلِ الإجراءات التي تستخدمها المجلاتُ أكثرَ أهمية للكتّاب والأكاديميين.

ولفهم كيفيةِ عملِ المجلات الأكاديمية مِن المهم أن نفهمَ أنها تحتوي على مجموعةٍ من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والأكاديمية التي تنطوي على رزمةٍ معقدةٍ مِن الأدوار والأشخاص. وإحدى الطرقِ المفيدة لفهم الكتابةِ الأكاديمية هي أن ننظر إليها بوصفها لعبةً؛ لابد مِن فهم قواعدها؛ قبل أن يتمكّن الأفرادُ مِن الانخراط فيها.

### الاقتصاد في المجلات

كانت المجلاتُ الأكاديميةُ التقليدية مربحةً للناشرين؛ لأنَّ النسخَ تُنتجُ باستمرار، في حين يقدِّم الأكاديميون عملَهم مجاناً بوصفهم مراجعين ومحررين وأعضاء مجالس تحرير. والمفارقةُ هي أنَّ المؤسسات الأكاديمية تنفق الأموالَ الأوليةَ لدعم البحث الذي يوفر المواد الخام للمقالات. ومن ناحية أخرى تُجبَر الجامعاتُ والكليات والأكاديميون على دفع مبالغَ مقابلَ نشر وتوزيع البحث. ومع ذلك لا يُحاسَبُ المنتجون على فشل السوق، ولا يستفيدون مِن نجاحها، ودورهُم الحفاظُ على النسق الساري؛ وتوفير الخدماتِ التحريرية الأكاديمية.

كانت المجلاتُ الأكاديمية مملوكة للذين كتبوا لها وقرأوها، وكانت تنشرها دورُ نشرٍ جامعية. وظلت هذه الحال حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، عندما توسع قطاعُ الجامعات وارتفع مستوى المنشورات؛ بسبب تزايد الأكاديميين. ودخل الناشرون التجاريون المشهدَ؛ لمعالجة الاختناق المتمثِّل في الأوراق التي تنتظر النشر. وبعد تداركهم الاختناق بدأوا في استيعابِ حصة متزايدة مِن السوق، بدعم مِن مؤسسات التعليم العالي، وأدَّى تسليم وظائف الإنتاج والتوزيع للقطاع التجاري إلى زيادةٍ في القدرة: فتوسَّعت المجلاتُ، وجرى تشكيل مجلاتٍ جديدة؛ لاستيعاب كمية متزايدة من الأبحاث.

في البداية بدا أنَّ هذه الترتيبات تعمل بشكلٍ جيدٍ؛ إذ قدَّمت فوائدَ للمعنيين، وتمكَّن الأكاديميون مِن نشر أعمالِهم، وتولَّى الناشرون مسؤوليةَ توزيع المجلات، وبدا أنَّ هوامشَ الربح متوازنة مع تكلفةِ المجلات؛ لكن المشكلات بدأت بالظهور لتعارض متطلباتِ السوق مع البيئة الأكاديمية؛ إذ طالب الناشرون المؤلفينَ بالتنازل عن حقوق النشر، وصاروا أحراراً في بيع المعرفةِ الأكاديمية. وكان الأكاديميون بطيئين في إدراك ما يحدث، واستمرارهم في النشر يعني أنهم راضون عن استغلالهم، وليس بمستغرَب أن تتضاعفَ تكلفة نشر المعلوماتِ الأكاديمية ثلاث مرات في عقْدٍ واحد؛ فارتفعت "تكلفةُ المجلات العلمية بنسبة بلغت 148 % في الولايات المتحدة بين عامي 1986 و1996"، وقد أثيرت مخاوفُ بشأن ما إذا كان إنشاءُ المزيدِ مِن منافذ المعرفة- من خلال مجلات جديدة- يشكِّل حلاً حقيقياً.

ويفيد الناشرون بأنَّ الأكاديميين لم يزيدوا اشتراكاتِهم الشخصية؛ بل اعتمدوا على المكتبة، ويقولون أيضاً: إنَّ العلماء يشترون نسخاً أقل مِن الكتب العلمية، مما تسبَّب في تقليصِ عددِ الطبعاتِ؛ في ظلِّ الوضع الاقتصادي الهشِّ للكتبِ العلمية. وكان لدى أمناء المكتبات صورة للأزمة التي تلوح في الأفق؛ وذلك بسبب اعتماد الأكاديميين بشكلٍ أكبر على المكتبات للحصول على المجلات التي لا يستطيعون تحمُّل تكلفتها.

### النشر الإلكتروني

أحدُ التحدياتِ المهمة للمجلات الورقية التقليدية النشرُ الإلكتروني، فضلاً عن "استخدام أجهزة الكمبيوتر المتصلة بالشبكة"، فنشأت الثورةُ الإلكترونية بسبب تغيرين تكنولوجيين:

أولاً: تطور الكمبيوتر؛ الذي أصبح رخيصاً وقوياً، وثانياً: لقدرتنا على تخزين كميات هائلة من البيانات. لكن المطالبات بالتغيير لم تأتِ من ضرورات التكنولوجيا فحسب، بل من دمج المجلاتِ الإلكترونية في أنظمة النشر الأكاديمي الحالية، وحتى استبدالها بمجلاتٍ ورقية. وعلى سبيل المثال يُنظر إلى بعض المشكلات في إنتاج المجلات الورقية على أنها قابلةٌ للحلّ؛ من خلال النسخ الإلكترونية، ويخلق النشرُ الإلكتروني مرونةً في علاقة الكاتب بالقارئ؛ مع فرص للتفاعلية، وأساليب لعرض البيانات، وقيود أقلّ على طول الكلمة والشكل، فضلاً عن أنَّ المجلاتِ التعليمية عبر الإنترنت تعمل على توسيع نطاق القراء.

لا يشير مصطلح الأرشفة إلى تخزين المواد فحسبُ؛ بل أيضاً إلى التنظيم المنهجي والتوفير الشامل للوصول إلى هذه المواد، وفي حالةِ المنشورات الإلكترونية، كانت إحدى المشكلاتِ التي يجب معالجتها في توفير الوصول التنوع في التنسيقات المستخدمة. ومن بين أكثر التحديات سياسةُ التحكُّم في الاتصالات العلمية، والفوائد الاقتصادية للناشرين، وقضايا حقوق النشر، والافتقار إلى المهاراتِ اللازمة للكتابة على الإنترنت، ورهاب التكنولوجيا بين العلماء، ومقاومة تغيير التقاليد القديمة للنشر العلمي. ومع ذلك فقد حفَّز النشرُ الإلكتروني نقاشاً واسعاً حول الأشكال التقليدية للنشر في المجلات، وما إذا كانت المجلاتُ الورقيةُ الوسيلةَ الأكثرَ فاعلية لنشر البحوثِ أم لا.

### مراجعةُ الأقران

يقع استخدامُ مراجعةِ الأقران في صميم المجلات الأكاديمية، وتعتمد كلُّ مجلةٍ على مدخلاتِ لجنةٍ مِن أكاديميين قدَّموا إسهاماً علمياً في المجال ذاته، وبالتالي يُفترض أنهم قادرون على الحُكم على جودة أوراق الزملاء. وعلى الرغم مِن أنَّ هذا النظام عادلٌ وغير هرمي ظاهرياً؛ إلا أنه محفوفٌ بالتوترات وبالتعسف أحياناً.

وبسبب القصور في بعض أنظمتِها فقد تعرَّضت مراجعةُ الأقران لانتقادات واسعة؛ نظراً لكونها وسيلة يحكم بها الأكاديميون الأقوياء قبضتَهم على مَن يقدمون بحوثهم. ولأنَّ الأقرانَ (المعروفين أيضاً باسم المحكّمين) يتمُّ تجنيدهم مِن خلال اتصالات مهنية فقد جرى إدانةُ النظام؛ بوصفه شبكة غيرَ عادلة. وإذا كان هناك دليلٌ لدعم الرأي القائل: إنَّ مراجعة الأقران تختلف داخل كل تخصص؛ فهناك دليلٌ على أنه يمكن العثور على اختلافات بين التخصصات، ففي بعض التخصصات تكون علامة التميُّز هي معدلُ الرفض، والذي يمكن أن يصل إلى 90 %؛ في تخصصات أخرى، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ المجلةَ ذاتَ جودةٍ أقل.

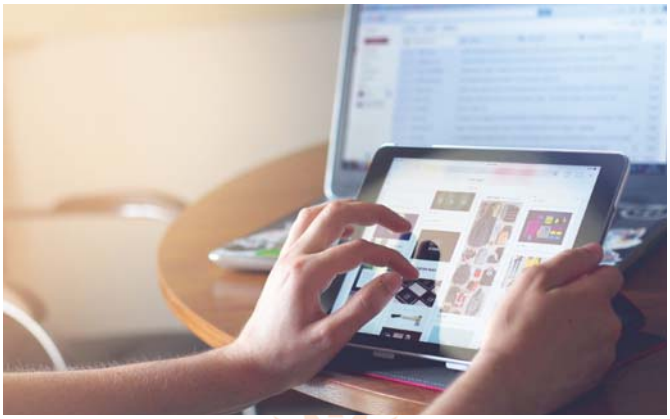

*يخلق النشرُ الإلكتروني مرونةً في علاقة الكاتب بالقارئ*

### تقييمُ الإنتاجيةِ والاستشهادُ

تطوَّر العديدُ من الأساليب لتقييم جودةِ إنتاجية الأكاديميين، ومع ذلك غالباً ما تكون هذه الأساليب معقدةً وسطحية. وتشير إلى كميةِ المنشورات المنسوبة إلى باحث معين، معبَّراً عنها بإجمالي مدى الحياة، أو بمعدل سنوي؛ عند تقسيمها على العمر المهني. والتأثير يعني مدى تكرار استشهاد مؤلفين آخرين بعمل شخص ما. ونادراً ما يجري تقييم الجودةِ بشكلٍ مباشر؛ فالإنتاجيةُ ومعامل التأثير غالباً ما يحلان محلها. ومع ذلك؛ في المناخ التنافسي الأكاديمي في مطلع القرن الحادي والعشرين كان مجردُ النجاح في نشر عملٍ ما لا يعدُّ كافياً للمنح الدراسية، وأحياناً تُرجَّح جميعُ المنشورات بالتساوي، ولكن كيف يتمُّ اعتماد المؤلفين المشاركين؟.

يفترض البعضُ إسهاماً متساوياً مِن كل مؤلف؛ بينما يستخدم آخرون نظامَ ترجيحٍ يعتمد على ترتيب التأليف. وهناك مسألةُ كيفية مقارنة العمل الفردي والمؤلفين المشتركين، فبعض المجلات "تحتسب" القيمة المدرجة في فهرس الاستشهادات. ويعتمد استخدام الاستشهادات على افتراض أنَّ جودةَ المقالةِ العلمية يمكن قياسُها بعددِ مراتِ الاستشهاد بها في بحوث أخرى، وبالتالي فإنَّ الطريقة المستخدمة بشكلٍ شائع هي الحكم على ما إذا كانت المجلة أو الباحث أحدثَ تأثيراً كبيراً في مجال يتمثَّل بعددِ المرات التي جرى الاستشهاد بها؛ من لدن باحثين آخرين. وقد تطور هذا إلى تقنية على أساس سنوي، ووفقاً لعامل التأثير.

من المفترض أنه كلما زاد عدد الاستشهادات الأكاديمية زاد تقديرُ الأقران، ويتضمَّن استخدام الاستشهادات إحصاءَ عدد الاستشهادات على مدى مدَّة محددة في المجلات التي تغطيها واحدة أو أكثر مِن مؤشرات الاستشهاد المعمول بها؛ مما يثير عدداً مِن المشكلات الأخرى. منها:

أولاً: أنَّ عدداً كبيراً من المجلات- بما في ذلك أحدثها وأكثرها ابتكاراً- غائبةٌ عن مؤشرات الاستشهاد القياسية. ثانياً: لا تستطيع مؤشرات الاستشهاد التمييز بين الاستشهاداتِ الإيجابية والموافقة، والاستشهادات النقدية والرافضة. ثالثاً: قد يُنظر إلى الاستشهاداتِ على أنها تعكس الوضع الراهن فحسب، بسببِ تواتر الاستشهاد.

أيا كان مؤشر الجودة المستخدم في النشر؛ فإنَّ العامل الرئيس لكلِّ مؤسسة في المناخ التنافسي هو قياس مدى أداء باحثيها؛ مقارنةً بالآخرين. وأكثر مقاييس النتائج وضوحاً في ما يتصل بأداء البحث في الأقسام هي إحصاءاتُ النشر البسيطة، ومقاييس النشر المصممة لوضع الجودة في الاعتبار. وعندما تُستخدم مؤشرات الأداء هذه تنشأ أزمةٌ ليس في ما يتصل بالاختيار؛ بل في ما يتصل بالعدالة.

### المساواة والوصول إلى المعلومات

في الاجتماع السنوي للجمعيةِ الأميركية للبحوث التربوية عام 1996، لاحظتْ لجنةُ النشر أنَّ بعضَ أوجه عدمِ المساواة الخاصة بالحصول على النشر تقع خارج سيطرتها، وكان التمثيلُ المثالي للمؤلفين والمحتوى مِن المستحيل تحقيقُه، على الرغم من الاستراتيجيات الرامية إلى زيادة تنوع المؤلفين، لذا وجَّه طلابُ الدراساتِ العليا انتقاداً لممارسات النشر هذه، لاسيما ما يُنظر إليه على أنه افتقارٌ إلى الانفتاح في تعيين محرري المجلات، وسيطرة القِوى البيضاء/الذكورية.

وعلى هذا نستطيع رؤيةَ أنَّ خطاباتِ التميز والقدرة التنافسية التي غمرت المجلات الأكاديمية لم توفر أرضيةً مثمرة لمناقشة قضايا العدالة الاجتماعية أو المساواة، ومع ذلك فالتطوراتُ التي طرأت على سياسات المساواة في مجالات أخرى مِن الأوساط الأكاديمية أصبحت موضوعاً ذا أهمية كبيرة. وتُثار تساؤلاتٌ حول ما إذا كان هناك دليلٌ على التميز على أساس الجنس أو العنصرية، أو غير ذلك مِن الممارسات غير العادلة في النشر الأكاديمي، وما إذا كانت أشكال النشر الجديدة من المرجح أن تعزز التغيير في أخلاقيات النشر النخبوية، وهل النشر الإلكتروني يصبُّ في مصلحة المفضَّلين، أم أنه يعزّز المساواة في الوصول والاستخدام؟.

قد يكون الحكمُ منحرفاً بشكلٍ منهجي بسبب التقييماتِ الأقلّ دقة، أو بسبب الشكوك في الكفاءة لانتقاد [عالِم] عظيم، أو بسبب الخوف مِن إهانة أشخاص مؤثرين في هذا المجال. وقد أفادت دراساتُ النوع الاجتماعي في النشر الأكاديمي مِن عدد مِن النتائج: وهي أنَّ قضايا المرأة نادراً ما تشكل موضوع المجلات، على الرغم من وجود زيادةٍ طفيفة في السنوات الأخيرة؛ فالمؤلفون الذكور يتمتعون بملفات تعريف أعلى، وإنتاجية أوسع، ويتم الاستشهاد بهم أكثر. ولقد اجتذبت أنماط اجتماعية أخرى للتأليف، مثل الأصل العرقي أو اللون، قدراً أقلَّ من الاهتمام، على الرغم مِن وجود بعضِ الأدلة التي تشير إلى أنَّ الكتَّابَ من الأقليات والسود لا يحظون بالقدر نفسه من التمثيل كمؤلفين.

### مكافحة الممارساتِ غير السليمة

وهناك قضيةٌ أخرى في المجلاتِ الأكاديمية؛ برزت لأسبابٍ مختلفة؛ وهي الاعتبارات الأخلاقية في ما يتصل بحقوق الملكية الفكرية، وقيل إنَّ الضغوطَ التي مُورست على الأكاديميين- لحملهم على نشر أعمالهم، وربط التعيين الدائم والترقية الأكاديمية بالنشر- أدَّت إلى مجموعة من الانتهاكات للنظام، وعلى سبيل المثال يزعم الباحثون زوراً أنَّهم توصلوا إلى اكتشافٍ جديد أو فبركوا نتائج بحثية.

إنَّ الارتقاء الوظيفي (الترقية، والتعيين الدائم، والتقدير) يسهل من خلال وضع اسم الشخص على العديد من المنشورات، لاسيما إذا ظهر كمؤلف منفرد أو باسم المؤلف الأول، وفي بعض الأحيان يؤدي هذا إلى وضعِ اسم الشخص على مَقال حتى لو لم يُكتبْ أي منه... وهناك نمط آخر أكثرُ غدراً يتمثَّل في إصرار الأستاذ الرئيس على أن يدرج طلابُ الدراسات العليا اسمه على أيّ منشورات مستمَدة من أطروحات تحت إشرافه. إنَّ مثل هذه الحوادث تمثل انتهاك المعايير الأخلاقية التي تمثل روحَ العلم. وبخصوص حقوق ملكية الأفكار والمفاهيم والنظريات في المقالات والتقارير البحثية، فإنَّ المخاوف الأخيرة في المملكة المتحدة نابعةٌ من كيفية مقاومة الضغوط على محرري المجلات من ممثلي الحكومة الذين يريدون "سحب" الأوراق التي تنتقد سياسة الحكومة، في الوقت الذي يُحَث فيه العديد من الأكاديميين على السعي للحصول على تمويل للأبحاث من مجموعة متنوعة من المصادر، ولهذا فإنَّ مجتمع البحث العلمي محاصرٌ بين المطرقة والسندان؛ ويحتاج إلى البقاء "وفياً" للمعايير المهنية مع تجنُّب النظر إليه بوصفه منتقداً للحكومات أو السياسات.

إنَّ أحدَ حلولِ هذه المعضلةِ عدمُ التوقيع على مثل هذه العقود، وقد تكون هناك أسبابٌ وجيهة تجعل الباحثين لا يملكون خياراً يُذكر؛ لأنَّ العمل سيُوفر للباحثين المؤقتين، أو لأنَّ الجامعة تطالبهم بالحصول على تمويل خارجي للأبحاث، لذلك جرى تطوير استراتيجيةٍ للتعامل مع هذه المواقف، من خلال تطوير مدونة أخلاقية يتبنَّاها الشركاءُ في مؤسسةٍ بحثية تسمح بالتفاوض على حدود ممارسة البحث. ويمكن أن تتضمنَ الشروط الأخلاقية المتعلقة بالكتابة الأكاديمية التي نشرتها جمعية البحوث التربوية البريطانية (BERA) أساساً للضبطِ الأخلاقي؛ ومنها:

- ينبغي أن يهدفَ الباحثون إلى تجنُّب اختلاقِ أو تزوير أو تحريف البيانات والنتائج والاستنتاجات.
- يجب أن يهدف الباحثون إلى الإبلاغ عن نتائجهم لجميع أصحاب المصلحة المعنيين، وعدم إخفاء نتائجهم أو عرقلة توصيلها.
- ينبغي للباحثين التربويين توصيل نتائجهم بلغةٍ واضحة ومباشرة ومناسبة لسكان البحث المعنيين وممثلي المؤسسات وأصحاب المصلحة الآخرين.
- يجب أن يظلَّ الباحثون التربويون أحراراً في تفسير ونشر نتائجهم؛ دون رقابةٍ أو موافقة من الأفراد أو المنظمات.

### هل للمجلات الأكاديمية مستقبل؟

السؤالُ الرئيس الذي أثير آنفاً كيف يمكن أن تصبحَ الثقافات الأكاديمية وممارسات النشر أكثر إنصافاً، وتشير معرفة حالة النشر الأكاديمي الحالية كمؤشر للأداء، وكموقع للصراع على السلطة والمعرفة؛ إلا أنَّ نشر ورقة في مجلة أكاديمية ليس بالأمر المباشر حول "المنح الدراسية الجيدة" كما قد يبدو للوهلة الأولى؛ فتأثيرُ التكنولوجيا والممارسات الأدبية والسلطة في المعرفة الأكاديمية لـ "الخبراء" ذوي التفكير المماثل، كلُّها مهمة؛ لفهم كيفية عمل المجلات الأكاديمية.

كيف يمكن فهم المجلات الأكاديمية الحالية مِن لدن الذين يهدفون إلى زيادة عدد منشوراتهم أو الباحثين المبتدئين أو المجتمع الأوسع الذي يأمل في الاستفادة مِن استثماره في البحث؟ هل هذا هو النظام الذي نريده أو نحتاجه؟ هل يوفر النشرُ الإلكتروني إمكانياتٍ أكبر أو أقل لتوسيع الوصول الأكاديمي للمجموعات المستبعدة؟.

بعضُ البلدان كالسويد لم تستسلم لأخلاقيات "النشر أو الهلاك" للأكاديمية المعمول بها في الولايات المتحدة، ومع ذلك فإنَّ التمييز على أساسِ الجنس في ممارسات التحكيم التي كشفت عنها دراسة حديثة لتخصيص تمويل مجلس البحث في السويد تشير إلى أنه حتى في البيئات الأكثر وعياً بالمساواة فإنَّ الأكاديميين، بوعي أو بغير وعي يميِّزون في ما يُعدُّ "تميزاً" و"منحة دراسية"، إذن فما هي البدائلُ للأنظمة الحالية لتقييم ومراجعة البحث؟. وباختصار يبدو هناك ثلاثة سيناريوهات للمستقبل:

1. الركود: إبقاء النظام على حاله، والدفاع عن ثقافات التميز، والسعي إلى فرض ممارسات النشر التقليدية على المجلات التي تعتمد على شبكة الإنترنت، ومقاومة التغيير.
2. إلغاء القيود التنظيمية: أيْ الحدُّ من ضوابط النشر، وإعطاء الأولوية للوصول إلى التكنولوجيا، وإلغاء المجلات الورقية، وإيجاد وسائل أخرى لتقييم البحوث.
3. الإصلاح: بدمج النظامين المزدوجين للمجلات الورقية والإلكترونية، والحفاظ على مراجعة الأقران وضمان الجودة، وتبادل المعرفة الأكاديمية؛ عبر مجموعة متنوعة من وسائل الاتصال.

إنَّ أغلبَ الأكاديميين عالقون في سيناريو الدولة، ويخشون إلغاءَ القيودِ التنظيمية، وهم غيرُ قادرين على الإصلاح؛ مع أنَّ الإصلاحَ يبدو خِياراً واعداً، لكنه يتطلَّب الاهتمام والالتزام. وسيحتاج المحرّرون والمحكِّمون إلى التفكير في عدالةِ سياستهم. وسيحتاج القائمون على إدارة الجامعات إلى تطوير أساليب أكثر دقةً وإنصافاً للحكم على جودة الأبحاث. وربما يعمل الناشرون وأمناء المكتبات بشكل أوثق؛ لمعرفة ما إذا كان مِن الممكن تطوير نظام يخدم مصالح الجامعة والسوق معاً. وسيحتاج محررو المجلاتِ التي تعمل على الإنترنت إلى تطوير ممارسات تشجع الوصول الحقيقي والانفتاح، بدلاً من تفضيل هيمنة "المهووسين" الأكاديميين المتميزين؛ كما كانت الحال في الماضي.

*تبدأ رواية (الرأي المقابل) The op-eds novel أو (الرأي المختلف أو الرأي الآخر) للروائي ديكوير سيگوين بإحصائيّة مفادها أنّ ثلث كتّاب الأعمدة في الصحيفة الإسبانيّة الرئيسيّة إلباييس (البلد) هم روائيون، يعني أكثر من الذين في لوموند (العالم) الفرنسيّة أو نيويورك تايمز الأميركيّة واللتين لم توظفا روائياً- كاتب عمود منذ عشرين عاماً. لماذا احتضنت إلباييس الروائيين بهذا الاهتمام؟ يتتبع سيگوين آثار هذه المسألة رجوعاً الى القرن التاسع عشر ليبرز لنا شخصياتٍ أمثال كاتب المقالات ماريانو خوزيه دي لارا، والفيلسوف خوزيه أورتيگا يا گاسيت، اللذين ظهر لهما عملان مهمان في السول (الشمس) هما (اسبانيا اللافقاريّة) و(ثورة الجماهير) وكيف عاد العملان للبروز بعد الديكتاتوريّة.*

المؤلف

## رواية (الرأي المقابل)..

# عندما تلتقي الصحافة بالأدب

ترجمة: جودت جالي

تأسست إلباييس في أيار 1976 خلال تحول اسبانيا الى الملكيّة البرلمانيّة وبعد ستة أشهر من موت الجنرال فرانكو، وتحت رئاسة تحرير خوان لويس سيبريان أصبحت الجريدة ليست مراقبة فقط بل ومشاركة أيضاً في الديمقراطيّة الوليدة، ساعية خصوصاً خلال أعمدتها، أو خلال الـ(op-eds)، لتمكين الحوار ودعم قيم جديدة في اسبانيا ما بعد فرانكو.

توجه سيبريان الى الكتّاب، شعراءً وروائيين، بضمنهم گابريل گارسيا ماركيز الذي كان أصلاً صحافياً متمكناً في كولومبيا، والكاتب الكوبي گويرمو كابريرا انفانته، وروزا مونتيرو، التي لا تزال تسهم بكتاباتها. برزوا كشخصياتٍ شبه سياسيّة، غير منتمين ولكنهم ذوو أصوات، مانحين الصوت للضمير الجمعي الذي كان مخرساً.

آمن كتّابٌ مثل أنتونيو مونيوز مولينا بأنه لا يجب على المثقفين فقط تثقيف القراء بل ومنحهم أيضاً حسّاً أخلاقياً، وهي مهمّة حسّاسة بعد عقودٍ من الديكتاتوريّة. لم يتهيبوا كجماعة من المناوشات التي غالباً ما تدور في الصحافة. وظفت المودينا گراندس عمودها للاستخفاف بماريو فارگاس يوسا الحاصل على نوبل لخيانته "الولاء للحزب"، وخافيير ماريا斯 اتهم أنتونيو مونيوز مولينا بـ "النسبيّة الأخلاقيّة".

بعد الانتخابات العامّة في العام 1982 والتسليم السلمي للسلطة الى حزب العمال الاشتراكي الإسباني أصبحت إلباييس بشكلٍ متزايدٍ حيزاً إنتاجياً لـ"الروائي المفكر" بالضبط كما تقوم أكاديميات كرة القدم الإسبانيّة الشهيرة لتنشئة اللاعبين الجيدين. يلقي سيگوين الضوء على شخصياتٍ بارزة في هذه الحركة هم خافيير سيركاس، وخافيير ماريا斯، ومونوز مولينا، والمودينا گراندس، وفيرناندو آرامبورو.

أصبحت أقسام الرأي مختبراً للكتابة التجريبيّة التي تجمع الأخبار والأفكار والأسلوب الأدبي، ويؤكد مونوز مولينا أنّ "العمود نوعٌ أدبي". في هذه الأثناء صاغ الكتّاب أيضاً تقنياتٍ جدليّة أنجزوها في أعمدتهم ووظفوها في رواياتهم. كتب ماريا斯 عن شرعيّة الحرب الأهليّة الإسبانيّة، والإرهاب في الباسك، في رواياته وفي جريدة إلباييس، بينما ضبطت رواية سيركاس (جنود سالاماس) 2003 الحدود بين الصحافة والأدب القصصي.

أعطت هؤلاء المفكرين رواياتُهم شرعيّة أدبيّة وصحافيّة ورسختهم بوصفهم مراقبين أصلاءً لتحول إسبانيا من الديكتاتوريّة الى الديمقراطيّة، بدؤوا يرون الفن القصصي كما يقول سيگوين "مكاناً حسم النقاش مع الزملاء المفكرين، صانعين مطالب تاريخيّة تأمليّة ومشاريع أنصار سياسيّة، وفي الوقت نفسه جربوا حدود هذا النوع من الكتابة وشكله وأسلوبه". إنّ هذا الاندماج لم يثر السرد القصصي فقط بل ووسع مدى رؤية وأثر أعمالهم الأدبيّة.

واحدة من النتائج الرئيسة من ذلك المزج النوعي هي التوتر بين البحث التاريخي الصارم، القائم على المواد الارشيفيّة، وبين حركة الذاكرة الإسبانيّة التاريخيّة، المستندة الى التواريخ الشفاهيّة. هذا التوتر الذي خلقته عقودٌ من رقابة النظام يثير التاريخ الموثق ضد الذاكرة الجمعيّة، وزاده تفاقماً بين الذهنيّة الباقية للرقابة غير الراغبة بتسجيل الحقيقة وبين الأسرار المفتوحة من الماضي. استخدم ماريا斯 مثلاً عموده ليهاجم الحائز جائزة نوبل كاميلو خوسيه ثيلا لتعاونه مع نظام فرانكو.

إنّ روائيي الرأي المقابل غمروا أعمالهم في قلب الجدالات المعاصرة جاهدين لتشكيل الخطاب الجماهيري لزمنهم، فهم لم يؤرخوا للحرب الأهليّة فقط بل واستكشفوا الذكريات المائلة والمتناقضة للصراع، الانتقال الزلزالي من النظام الفرانكوي الى الديمقراطيّة، والفشل الدرامي لانقلاب 1981. كان هدفهم الواضح هو إعادة تشكيل القصص التي رواها الاسبانيون لأنفسهم عن تلك الأوقات بالغة الأثر.

إنّ رواية (الرأي المقابل) سردٌ ملتزمٌ وجيدُ البحث ومكتوبٌ بذكاءٍ حادٍ عن المنظر الأدبي والصحافي خلال فترة التحول الاجتماعي التطوري، مظهراً كيف أنّ الربط الأدبي يغذي مخيلة سياسيّة جديدة وبالعكس، وهذا العمل كذلك دراسة أصيلة ومرنة تدفعنا الى إعادة النظر في افتراضاتنا المسبقة في الصحافة والأدب وأدوارهما، متحدياً الحدود التي تفصل بينهما ويضع موضع المساءلة بناهما وجمالياتهما الموطدة. إنْ كانت إلباييس تقيّم الروائيين بوصفهم كتّابَ أعمدة منظمين فلماذا لا تفعل الصحف الأخرى؟ إنّ هذا تضييعٌ للفرص.

***

Etan Nechin, The op-ed novel. A literary history of post-Franco Spain, Becquer Seguin. LTS august 2, 2024.

گابريل گارسيا ماركيز

روزا مونتيرو

أنتونيو مونيوز مولينا

خوزيه أورتيگا يا گاسيت

گيبرمو كابريرا انفانته

# ميزوبوتاميا

## مصير «صانعة الملوك»

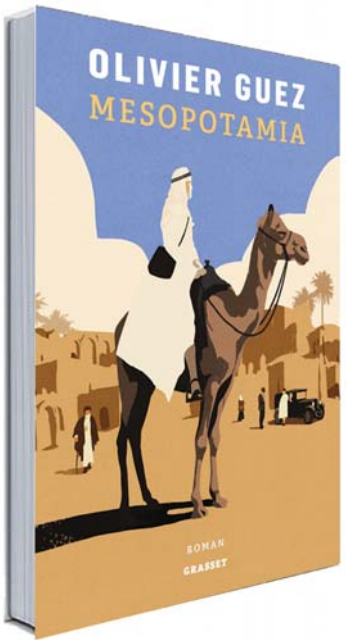


**أوليفييه غيز**

**ترجمة وتقديم: كامل عويد العامري**

***كانت تحمل العالم بين يديها. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، رسمت جيرترود بيل حدود الشرق، في تلك الصحراء البكر حيث بدأت الحضارة: بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات. مغامِرة، عالمة آثار، جاسوسة، تتحدث العربية والفارسية، والمرأة الأقوى في الإمبراطورية البريطانية، لكنها أيضاً بطلة تراجيدية. مثالية مثل صديقها وروحها التوأم، لورانس العرب. ذات نزعة امبريالية مثلها مثل الشاب ونستون تشرشل. من عائلة بريطانية ثرية. عاشقة ومخلصة. ولغز بالنسبة لكثيرين: واحدة من النساء اللواتي طمسهن التاريخ. لكن الكاتب أوليفييه غيز يعيد لها مجدها وتألقها: من اكتشاف حقول النفط العملاقة إلى الصراعات والمناورات القوية القاسية بين البريطانيين والفرنسيين والألمان، من المفاوضات تحت الخيام البدوية إلى رمال بغداد. رواية جيرترود بيل ترسم اللوحة الواسعة للعولمة الأولى، عندما استحوذت أكبر إمبراطورية في ذلك الوقت على منطقة أسطورية، أرض إبراهيم، والطوفان، وبرج بابل، ومرقد الإسكندر الأكبر: بلاد ما بين النهرين.***

يقدم الكاتب في مستهل الرواية ما يشبه نظرة لا علاقة لها بالسرد، وكأنه يريد أن يقدم مدخلاً للقراءة، جاء فيها: "

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أصبحت الاقتصاديات العالمية لأول مرة في تاريخ البشرية مترابطة. فقد تدفقت السلع ورؤوس الأموال والشخصيات بسرعة غير مسبوقة بفضل الثورة الصناعية، ووسائل النقل الجديدة والاتصالات: تحققت أحلام إيكار ولياردو دا فينشي في غضون بضع عقود. الإنسان يسير، يطير، ويكتشف علاجات لأمراض وفيروسات كانت غير قابلة للعلاج حتى ذلك الوقت. لقد تجاوز حدود الطبيعة. وهو عازم على إخضاعها في المستقبل،

وقد أنهى الأوروبيون آلاف السنين من العجز ... إنهم يهيمنون على الشؤون الدولية، انطلاقاً من قوانين غير مرئية قائمة على التوسع والمنافسة. ولم يشبعوا بعد، انتابتهم حمى من نوع جديد: هي الحمى الاستعمارية. لا ينبغي أن يفلت أي إقليم منهم، حتى أصغر جزيرة في المحيط الهادئ يجب أن تكون لهم.

لطالما كانت هذه المنطقة مغمورة تحت ظل اكتشاف الأمريكيتين والتفاف السفن حول إفريقيا بقيادة فاسكو دا غاما، والذي فتح الطريق إلى الهند عبر البحر، ولكنها الآن تستعيد مكانتها كمركز للعالم، كما كانت في زمن الإسكندر الأكبر وقيصر، وفي عهد الخلافات العربية الأولى، وطُرق الحرير. بعد أن كانت مهملة لقرون، ولم يستكشف منها إلاّ القليل في بعض الأماكن، وكان ارتباطها بالاقتصاد العالمي ضعيفاً، أصبح الشرق الأوسط الآن محط أطماع القوى الكبرى. لقد اندلعت معركة شرسة على هذه المنطقة منذ أن قصّر افتتاح قناة السويس في عام 1869 بشكل كبير زمن النقل بين أوروبا وشرق إفريقيا وآسيا، ومنذ اكتشاف النفط، الذي أصبح محرك الثورة الصناعية الثانية، واستغلاله حديثاً. وهكذا تشكل مستقبل العالم. في القرن العشرين على أراضي الإمبراطورية العثمانية المتداعية، والتي سعى الجميع لإنهائها".

**

أوليفييه غويز يقدم في روايته الجديدة «ميزوبوتاميا» صورة لجيرترود بيل، التي مثلتها نيكول كيدمان في عام 2015 في فيلم «ملكة الصحراء» من إخراج فيرنر هيرزوغ. فهي، كما يصفها لورانس العرب، شخصية غير معروفة بشكل كافٍ، لكنها "عالمة آثار، مستكشفة، كاتبة، سياسية، جاسوسة ودبلوماسية بريطانية.

من خلال مصير هذه المرأة غير العادي، يسلط الكاتب الضوء على الوضع التاريخي لتلك الحقبة التي شهدت نشوء الشرق الأوسط من 1916 إلى 1922، وهو وضع لا يزال يؤثر في العالم المعاصر. ولا يخفي الكاتب تناقضات بطلته من دون أن يحكم عليها. على الرغم من كونها متقدمة على زمنها، لم تكن يوماً نسوية، بل كانت أيضاً سكرتيرة في لجنة مناهضة حقوق المرأة. وبما أنها كانت تعتبر العرب غير قادرين على إدارة بلادهم بشكل مستقل، فإن تعليمها النخبوي جعلها تقول وتكتب أن معظم نظيراتها لم يكن لديهن العقلية والتعليم اللذين يؤهلانهن لحق التصويت. لم تكن لديها العديد من الصديقات. ستقودها أحكامها المسبقة وقليل من الغرور إلى ارتكاب بعض الأخطاء السياسية والاستراتيجية.

وبالتالي، فإن رواية «ميزوبوتاميا» تروي المصير المذهل لجيرترود بيل، الشخصية البارزة في دبلوماسية الكومنولث. بعد أن كانت لفترة طويلة مغمورة بسبب شهرة لورانس العرب، صديقها الكبير والمعروف الذي تعرفت عليه في ربيع عام 1911، وتسلط الضوء على هذه الشخصية الفريدة ومكانتها. كامرأة ذكية بالنسبة للرجال في زمنها، عالمة، مستكشفة، جريئة، دبلوماسية قوية، ولكنها أيضاً امرأة مثالية، غير مفهومة، بطلة مأساوية بأحلام غير واقعية، تتسم بالتناقض. وقد وصفها الملك فيصل بالمرأة القوية. وكمستكشفة، وعالمة آثار بارعة. سُميت إحدى قمم سويسرا باسمها، لكن لا توجد أفكار ثورية لدى هذه البرجوازية التي ترفض حركة الناشطات.

فمنذ رحلاتها الأولى إلى اليونان، وروما، وبترا. في سن المراهقة، كانت تقف مذهولة أمام النقوش الآشورية في المتحف البريطاني، مبهورة بمشاهد صيد الأسود. وكان جيلها متحمساً لعمليات الحفر والتنقيب في مواقع العصور القديمة الكبرى. بابل، وسوسة، ووادي الملوك: كانت الحضارات تكشف تدريجياً عن أسرارها وتستعيد حياتها بعد قرون من الصمت.

تظهر جيرترود بيل، كما يراها أوليفييه غويز، على أنها "عانس متجهمة وغريبة الأطوار، "الملكة العذراء". ومع ذلك، كانت امرأة الظل التي عرفت كيف تدير خيوط السياسة الجغرافية بتأثيرات كبيرة. تم قبولها كـ "ضابط سياسي" وسرعان ما تمت ترقيتها إلى "سكرتيرة شرقية". سيكون هناك رجل واحد فقط قادر على إقناع قلبها وعقلها، وهو المقدم دافتي- ويلي، الملقب بـ "ديك"، الذي يظن أوليفييه غويز أنه ستكون له ليلة حب مهذبة جعلت جيرترود تصرخ من رغبة مكبوتة!

تبدأ الرواية من البصرة: فبعد افتتاح قناة السويس في عام 1869، بدأت البصرة، المدينة الثانية في العراق بعد بغداد، تحتل مكانة مهمة منذ بداية القرن العشرين. وكان السير بيرسي كوكس رئيس الإدارة المدنية في ميزوبوتاميا، التي كانت تحت الاحتلال البريطاني. يسعى أن يكون الجيش البريطاني هو الأول من بين الغربيين في غزو ميزوبوتاميا منذ الإمبراطور الروماني تراجان. وبدءاً من العام 1908، أصبحت ميزوبوتاميا "جنة عدن" الجديدة و"جنة الله".

البصرة، مارس - أذار 1916

* تمسح السيدة بيل حذاءها الملطخ بالطين على عتبة المدخل وتبعد بتململ السرب المتطاير من الذباب الذي يحيط بها. يهرع صبي صومالي، يرتدي جلابية وعمامة، حافي القدمين لينزع عنها قبعتها ومظلتها المبللة. يطلب منها أن تتبعه، فالسير بيرسي كوكس ينتظرها في مكتبه. لقد عاد من مهمته هذا الصباح.

كان طويلاً ونحيفاً، وعيناه الزرقاوان نفاذتان، لم يتغير كوكس منذ لقائهما الأخير عند أصدقاء مشتركين في لندن، قبل سبع سنوات. قد يكون شعره المتموج قد شاب قليلاً لكنه لم يكتسب أي تجاعيد ويحافظ على أناقته في ارتداء الزي العسكري. على يافته، تتعرف السيدة بيل على شارات الضباط السياسيين في جيش الهند: كوكس، البالغ من العمر واحداً وخمسين عاماً، هو رئيس الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين المحتلة، بعد أن عمل في الصومال وفارس والعديد من الإمارات في الخليج العربي.

مشهور بلباقته وهدوء أعصابه، يثبت كوكس في ذلك العصر خلافاً لسمعته. وهو مختبئ خلف كومة من الخرائط الطبوغرافية والصور الجوية، يلعب بشاربه تحت صورة الملك جورج الخامس ويشتم المطر الذي ينقر باستمرار على سقف مقر قيادته، وهو مبنى يقع على طول قناة راكدة مملوءة بأصوات الضفادع والبرمائيات، اللحن الشتوي للبصرة، المدينة الساحلية عند مصب النهر الذي يفصل بين فارس وبلاد ما بين النهرين.

تسود الفوضى هنا، كما لاحظت السيدة بيل منذ أسبوع وهي في المدينة. تعاني اللوجستيات في جيش الهند من قصور، البريطانيون يتلمسون طريقهم، ويعتمدون على الارتجال، وينقصهم كل شيء. من الصعب، إن لم يكن مستحيلاً، استيعاب مئات الآلاف من الخيول والجنود والأطباء والبراهما الذين وصلوا، وتوفير الإمدادات لهذه القوة الكبيرة من الشرق، بسبب نقص المخازن والمنشآت المبردة للسلع القابلة للتلف. في جنوب بلاد ما بين النهرين لا يوجد سوى التمر وقليل من الخضروات وبعض الماشية، لذا يجب استيراد كل شيء من الهند. ولكن المدينة التجارية القديمة ليست مجهزة لاستيعاب الأسطول الذي يطفو في مياهها. ميناؤها مزدحم، والسفن الكبيرة ترسو في عرض البحر. تحت الأمطار الغزيرة أو الشمس الحارقة، يستغرق الأمر ساعات، بل أيام، لنقل الرجال والحيوانات والبضائع والذخائر إلى وسائل النقل الصغيرة، الزوارق، والسفن الهشة، إلى الشواطئ الطينية الموحلة المليئة بالذباب والبعوض. لقد اختبرت السيدة بيل ذلك، ورغم جواربها، فقد تعرضت للدغات البعوض أثناء عبورها. لاحظت في الطريق أن السفينة الطبية الوحيدة مكتظة، وأن تدفق السفن ليس على وشك أن ينتهي. من مصر والهند، جمعت القيادة العامة قوارب بخارية، ويخوتاً، وسفناً بخارية ساحلية ذات غاطس منخفض، وهي الوحيدة القادرة على عبور نهر دجلة لنقل التعزيزات وتوفير الإمدادات للوحدات في الشمال. كما في زمن إبراهيم، لا توجد طرق مرصوفة أو سكك حديدية في جنوب بلاد ما بين النهرين.

يضغط كوكس على جرس صغير، الساعة السابعة مساءً، ويظهر الصبي مع الشاي. يقول سير بيرسي إلى السيدة بيل، وهو يحرك ملعقته بقوة في فنجان من البورسلين: «نحن في ورطة، ومعنويات الرجال متدنية». يشرب الشاي دفعة واحدة، كما لو كان مشروباً قوياً، غير مبالٍ بحرارة الشراب. «يقاتلون في ظروف سيئة، ويتجولون بلا هدف عندما يحصلون على إجازة. في البصرة، نحن لسنا في خلفية الجبهة الفرنسية. الجنود لا يجدون الكحوليات، ولا الملاهي، ولا النساء، بل المقاهي القذرة التي يرتادها الرجال فقط.» تتورد وجنتا السيدة بيل. وهي تجلس على حافة مقعدها، متصلبة الجذع، ترمقه بنظرة غاضبة. يعتذر كوكس عن فظاظة تعبيراته، ويقول إنها لا تليق بمحادثة مع شخص من مقامها، ويطلب منها أن تسامحه، فهو تحت ضغط عصبي هائل، وأمامه شكاوى كثيرة. القوات تشتكي من سوء جودة طعامها، من اللحم المعلب، البودينغ اللزج المعلب، ومربى البرتقال، «التي يلتف حولها الذباب الشيطاني على الفور». يطالب الجنود النباتيون، «الهندوس المتجهمون»، بدقيق القمح الصلب والخضروات، وفي الأسبوع الماضي، «بسبب نقص المصل»، توفي اثنان من مساعديه، « شابان رائعان من مقاطعة لانكشاير »، بعد أن تعرضوا للدغات الأفاعي في المستنقعات المحاذية للمدينة. نظارات الشمس التي يرتديها الجنود ذات جودة رديئة لدرجة أنهم يرمونها في الماء. القيادة العسكرية غير مبالية، وتوقعاتها - «إذا كان قد خطط لأي شيء أصلاً»، كما تفكر السيدة بيل - أثبتت أنها غير دقيقة، وتعاني من نقص في وسائل النقل الطبية والطائرات؛ الأنهار صعبة الملاحة، والتعليمات التي يتلقاها من لندن ودلهي والقاهرة متضاربة. «مع العرب المحليين، الأمور ليست على ما يرام»، يتنهد كوكس بصوته الجهوري. رئيس الإدارة المدنية في بلاد ما بين النهرين يشعل سيجاراً. من خلال النوافذ، يُسمع صفير الرياح وأذان الصلاة. يحل المساء، وقد توقفت الأمطار، والمدينة تفوح منها الروائح الكريهة.

*جيرترود بيل.. واحدة من النساء اللواتي طمسهن التاريخ*

تدرك جيرترود بيل ذلك. عندما كانت في مهمة في الهند قبل أن تصل إلى البصرة، جعلها النائب الملكي تقرأ بعض التقارير السرية: على الرغم من أن كوكس يتحدث لغتهم ويتقن التفاوض مع السلاطين المحليين، إلا أنه لم يتمكن من بناء علاقات ثقة مع الشيوخ المحليين. انضم آلاف من رجالهم إلى القوات العثمانية وأعلن قادتهم الدينيون الجهاد ضد الإنجليز الكفار، «هؤلاء الكلاب أبناء الكلاب الذين اجتاحوا أراضٍ إسلامية ويريدون إذلال الإسلام». بينما يتشكك آخرون، في انتظار تصرفات الأتراك، ولا يعرفون ما إذا كان البريطانيون سيكتب لهم البقاء. «أنت تعرفين العرب مثلي» قال كوكس وهو يشد ربطة عنقه، «هم دائماً مع المنتصرين.» كانت السيدة بيل، صامتة، تعبث بقفازيها ثم ترتشف بضع رشفات من الشاي. لقد قرأت أن البدو نهبوا المعسكرات، وجردوا الجثث، وذبحوا الجرحى من الإنجليز والهنود لجمع أسلحتهم. هناك لصوص، ومحتالون، وضباع: في المدينة، الأجواء متوترة، الاشتباكات تتزايد، وقد نُهبت المستودعات والمتاجر؛ وفي الكوت، على بعد أربعمائة كيلومتر، الوضع في الفرقة السادسة المشاة ميؤوس منه.

في نوفمبر-تشرين الثاني 1914، بعد بضع ساعات بعد دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، غادرت سفن بريطانية بومباي وتوجهت إلى الخليج العربي. كانت العملية متوقعة منذ أن بدأت شركة النفط الأنغلو-فارسية (APOC) في استغلال وتكرير النفط من إحدى مقاطعات جنوب غرب إيران التي كانت على مرمى المدافع التركية، والتي لم تكن محصنة بشكل كافٍ من قبل البريطانيين. كان من المقرر أن يهدف الرسو في بلاد الرافدين إلى تأمين ناقلات النفط، وأنابيب النفط التي تمتد على مئة وثلاثين كيلومتراً تربط بين الحقول النفطية ومصفاة على الخليج، فضلاً عن حقول النفط نفسها. كانت المنشآت المحلية توفر النفط للبحرية الملكية، أقوى أسطول حربي في العالم. "بريطانيا تحكم الأمواج": كانت البحرية البريطانية تضمن الدفاع عن الإمبراطورية على امتداد جميع البحار والمحيطات.

في 23 نوفمبر-تشرين الثاني، سقطت البصرة في أيدي التاج البريطاني. وبعد بضعة أيام، تم الاستيلاء على مدينة القُرنة، حيث يلتقي نهرا دجلة والفرات، بعد معركة عنيفة. مع تأمين الحقول النفطية، دعا كوك، الذي كان في حالة من الانتشاء، إلى مواصلة الهجوم. كان يعتقد أن الأنجلو-هندو سيكونون في بغداد في غضون عام على الأكثر، وسيجعلون من الجيوش العثمانية لحماً مفروماً. كان الضباط الأتراك عديمي الكفاءة، وكان جنود المشاة الأتراك هيجاً رثّي الهيئة يلقبون بعبدول أو جوني ترك، ولا يجيدون سوى ذبح المدنيين الأرمن العزل.

قبل الحرب، كانت إيطاليا قد انتزعت منهم ليبيا وجزر دوديكانيسيا - إحدى المقاطعات اليونانية-، وفقدوا ممتلكاتهم البلقانية. كان البلغار على وشك احتلال القسطنطينية. " البلغار وكتائبهم المكونة من بقايا الخيوط!"، هكذا كان يسخر الاستراتيجيون في جيش الهند. لم يعد للعثمانيين، الذين روعوا أوروبا المسيحية لفترة طويلة، من وجود سوى الظل. وكان البريطانيون سيكونون أول الغربيين الذين يحققون السيطرة على بلاد الرافدين منذ الإمبراطور الروماني تراجان.

في أواخر سبتمبر- أيلول 1915، استولت القوة الاستكشافية على الكوت المدينة الاستراتيجية، على الضفة الشرقية لنهر دجلة. وأمرت بمواصلة تقدمها. وكتب نائب الملك في الهند إلى الملك جورج الخامس "برنامجي الصغير في بلاد الرافدين يسير بقوة، وأتمنى ضم بغداد قريباً إلى الإمبراطورية البريطانية"، كانت بغداد على بعد أقل من خمسة وعشرين كيلومتراً. بعد اجتياز العقبة الأخيرة، طيسفون، ستسقط المدينة الأسطورية في أيديهم. وقد صرح رئيس الوزراء في أوائل نوفمبر أمام مجلس العموم: "لا أعتقد أن أي عملية من بين جميع العمليات العسكرية في الحرب، كانت مُعدة بعناية أكبر، أو قد أُنفذت ببراعة، وبفرصة أكبر للنجاح".

كان من المفترض أن تكون بغداد مجرد وهم. فالجبهة الغربية كانت محمدة، ولندن كانت تتعرض للقصف، وانتهى غزو شبه الجزيرة التركية في جاليبولي، على بعد مئتين وخمسين كيلومتراً من القسطنطينية، بكارثة: دمرت الألغام التركية الأسطول، ومن المرتفعات، كان المشاة يطلقون النار على المهاجمين الذين نزلوا في الربيع عام 1915. كان ذلك محاولة لمقامرة من شاب طموح، ونستون تشرشل، أول لورد في الأدميرالية: لقطع رأس الإمبراطورية التركية وجعلها تستسلم عن طريق الاستيلاء على عاصمتها غير المحمية ثم، من البحر الأسود، صعود نهر الدانوب نحو النمسا وألمانيا ل "توجيه خنجر إلى أقرب النقاط الحيوية للوحش وإنهاء الحرب"، كان هذا هو ما كان يأملون تحقيقه في لندن.

في السابع من ديسمبر- كانون الأول 1915، تخلى البريطانيون عن شبه جزيرة جاليبولي. وشهد اليوم نفسه بدء حصار الكوت، حيث كانت الفرقة السادسة قد تحصنت هناك بعد أن كانت محاصرة في طيسفون. أدرك الأتراك أن منع التعزيزات القادمة من البصرة لتحرير المدينة سيجبر البريطانيين على الاستسلام. لذا حاصروا المدينة مثلما حاصر يوليوس قيصر مدينة أليزيا.

لم تكن القيادة البريطانية قلقة للغاية. فقد كان العثمانيون مهاجمين ضعفاء، ولم تكن هذه المرة الأولى يحاصر فيها رعاع فرقة إمبراطورية. ففي الهند أثناء التمرد العظيم، وفي جنوب إفريقيا أثناء حرب البوير، دافع البريطانيون عن أنفسهم ببطولة وكتبوا بعضاً من أروع صفحات الأسطورة الفيكتورية. ستصمد الفرقة السادسة؛ فقد عززت دفاعاتها في انتظار التعزيزات من

فيلق دجلة، قوات المشاة النخبة. وقد أكدت لهم هيئة الأركان أنهم" سيصلون قريباً إلى هنا "

إلا أنـه فـي ظـل الفوضى التـي عمت البصـرة، تخلف البريطانيـون عـن الركب، وعندمـا اقتربـوا أخيراً من السـد، صمد السد الذي أقامـه الأتراك في اتجاه مجرى النهـر، وتماسـك بفعـل سـيول الميـاه التـي انهالت علـى المنطقـة. كانـت الهجمـات الأنجلو-هندية تتعثر في محيـط من الوحل، ولـم يفلح القصـف التمهيدي المكثف في تغيير شـيء مـن الوضع. فقد انزلق الجنود وخاضـت الخيـول وغرقت المدافع فـي وحل الطين، كالكاراميل الذائب

كانت القوات التركية تقصف المدينة مستثمرة انتصارها فـي جاليبولي، وكان القناصة يطلقون النار على الجنود الذيـن نزلوا إلـى النهر لالتقـاط الطرود التي أسـقطتها الطائرات بشـكل عشـوائي: كان الأنجلو-هنود يفتقرون إلى الغذاء في مواقعهم المحصنة. وكان الجنود، الذين يتغذون على الأعشـاب المسلوقة، في حالة من التعب الشـديد وغير قادرين على حمل السلاح؛ كانوا يرقدون على الأرض، وعيونهم ساهمة. وفي الليل، بسبب نقص الحطـب للتدفئة، كانـوا كانوا يتجمـدون حتى الموت بزيهـم الصيفي وقمصان مانشـستر القطنية. وعندما لم تكن القذائف تنهمر عليهم كانوا يسمعون عواء الضباع.

في بداية شـهر مـارس - آذار، أدرك الأتراك أن الأنجلو-هنـود لن يصمدوا طويلاً. فقد انتشـر مـن الكوت وباء التقرحـات والفضلات والجثـث المتحللة. كـان الهواء أسـوداً من الذباب. لقد أحكم الأتراك قبضتهم. واشـتد قصفهم.

كان من الضـروري أن يتعثر الخادم ويسقط إناء السكر لكـي تبتسـم الآنسـة بيل، كمـا يفكر كوكـس. يجدها هزيلة، شاحبة قبل أوانها، رغم أنها كانت لا تزال حمراء في لندن قبل سـبع سـنوات، يقسم بذلـك. لاحظ أنها شـحبت كما لو كان قد أصاب قلبهـا ضربة، عندما ذكر كارثة جاليبولـي، قبل أن تستعيد تماسـكها، مع تلك التعبيرات المتجهمة والمفكرة التي ترتديها منذ دخولها. بفضـل تنورتها الشـفافة، وجواربها السـوداء الحريرية وقميصها المزخـرف المربوط حتى العنـق، تبدو كأنها الآنسة هاربيت، العانس الحزينة في روايات موباسان، وإحدى المعلمات الإنجليزيـة اللواتي يجوبن القارات، يرسمن المائية ويملأن دفاتر النباتات، واللواتي قابلهن في جميع أنحاء العالم في السنوات الأخيرة.

وتسـاءل كوكس مع نفسه إنـه كان لابد مـن أن يتعثر الخـادم ويسقط وعـاء السكر حتى تبتسـم الآنسة بيل أخيـراً. وكـان يستطيـع أن يقسـم أنهـا كانـت حمراء الشـعر في لندن منذ سـبع سـنوات، ولكنها الآن تبدو نحيفة شـاحبة قبل الأوان، عندما ذكـر كارثة غاليبولي كمـا لـو كانت قـد تلقّت ضربة فـي القلـب، وقبل أن تستعيد رباطة جأشـها، بدت بتلـك السحنة المتجهمة والرصينة التي كانت تتحلى بهل. بتنورتها الموسـليني، وجواربها الحريريـة السوداء، وقميصها المزخرف الذي يغطّـي عنقها بالكامل، وكأنها الآنسة هاربيت، العانس الحزينة في روايات موباسـان، وكذلك مثل واحدة من تلـك المعلمـات الإنجليزيـات اللاتي يجبـن القارات، يرسـمن اللوحـات المائيـة ويملأن دفاتـر النباتات، واللاتـي صادفهن في أنحاء مختلفة من العالم على مدار السنوات الأخيرة.

" إذن، كيـف كان أسـبوعك الأول في جنة عدن ؟ هل استقبلتك زوجتي بشكل جيد ؟"، " سأل كوكس، بينما كـان ينظف أظافـره بطرف فتاحـة الرسـائل العاجية. شـكرته الآنسـة بيل على حسـن ضيافته. إنهـا مريحة. ففرفتهـا واسـعة وزوجتـه" مضيافـة رائعـة "، علـى الرغـم من أنهـا والليدي كوكس لا يشـتركان في شـيء سـوى الشـغف بالبستنة. ولا حتى في بنيتهما: فالأولى زاويّـة الشـكل، والثانيـة ممتلئـة ذات فكيـن كفكي كلـب بولدوغ. لا يهم، فالآنسة بيـل تقول إنها مسرورة بوجودها هنا - يقرص كوكس نفسه، فلم يسبق لأحد أن نطق بمثل هذا الهراء، " عندما خلق الله جهنم ظن أنها لـم تكن كافية، فجعلها البصرة وأضاف إليها الذباب"، كمـا يقول مثل عربي يحـب أن يقتبسه. إن الآنسة بيل حريصـة كل الحرص على خدمـة الإمبراطورية في هذه الأوقات العصيبة، وستكرس كل طاقاتها لذلك، ولكن يجب أن يسمح لها بالعمل بأن تعطى منصباً.

اسـتقبلها العسكريـون والإداريـون التابعـون لكوكس استقبالاً فاتراً لدى نزولها من الباخرة التي غادرت كراتشي قبـل ثلاثة أيـام. ولم يكن هـؤلاء السـادة الذين كانوا يرتـدون زيهم الرسـمي، ويتسلحون بمضـارب الذباب إلى جانب خوذاتهم المصنوعـة من الفلين وإبريق من عصير الليمون، يشعرون بالارتياح عندما استقبلوها في مطعم الضبـاط. فهم لم يسبق لهـم أن عملوا مع امرأة مـن قبل، وهذه المخلوقة التي توصف بالذكاء لا توحي لهـم بالثقة. وقد قرأ بعضهم مقالاتها، وأحياناً كتبها عن المنطقة، وعرفوا أنها عالمة آثار مشهورة لها أصدقاء في مناصـب رفيعة. فقد كانت أول امرأة تتخرج من جامعة أكسفـورد بدرجة الشـرف الأولى فـي التاريخ الحديث، وحصلـت على مبدالية من الجمعية الجغرافية الملكية. وقد سبقتها سـمعتها في الأوسـاط المطلعة، سواء في الشـرق أو فـي لنـدن. ولا تخفي الآنسة بيـل حقيقة أن التواضع ليس من نقاط قوتها.

هـذه حـرب، وليسـت لعبـة أو مناسـبة اجتماعية"، كما أوضح عقيد ذو شـارب مشـمع. كان بريدها يخضع للرقابـة، وتحركاتها مقيدة، ولـن تتمكن من مقابلة أي مواطـن بمفردها. وماذا كانت تفعل فـي البصرة، وهي التـي لم تكن مدرجة في أي مخطط تنظيمي، ولم تكن لديها أوامر بمهمة، ولا تنتمي إلى أي وزارة أو مؤسسة ؟ وقبـل ذلك بأربعة أشـهر، أي في نوفمبر 1915، كانت قـد ذهبت إلـى القاهرة بدعـوة من صديـق قديم كان رئيسـاً للمخابـرات العسكرية في مصـر تحت السيطرة البريطانية. وكان ينشئ قسماً خاصاً مكرساً للمقاطعات العربيـة في الإمبراطوريـة العثمانية، يجمع بين ضباط سياسـيين وعلمـاء آثار وصحفيين يتحدثـون العربية، وكانت تعـرف معظمهم من أكسفورد وكامبريدج. كانت جيرتـرود بيل، الرحالة الصحراوية الشـهيرة، سـتقدم معلومات قيمة للمكتب العربي الذي أنشئ حديثا.

مع ملاحظة الفشل الذريع في غاليبولي والمأزق في بلاد ما بين النهرين، كان هؤلاء السادة يبلورون استراتيجية جديدة في صالونات فندق سافوي المليئة بالدخان وهم يحتسون الشـاي بالنعناع. كان مكتـب القاهرة يبحث عن حلفاء عـرب طيعين وموثوقين، مستعدين لشـن ثـورة ضد الأتـراك، حتى لو كان ذلـك يعني وعد هؤلاء المساعديـن المؤقتين بنوع مـن المملكة العظيمة بعد الحـرب. في بداية الصراع، كتبـت جيرترود بيل مذكرة طويلة اسـتناداً إلـى بعثاتها الأخيرة إلـى المنطقة. وقد أكدت لوزارة الخارجية، ووزارة الحربية، أن العرب كانوا مؤيدين للتاج البريطاني، وأوصت الحكومة بتشجيعهم على التمـرد على الأتراك، خصومهم المشـتركين. ومن بعيـد - حيـث كـان الصراع يـدور في خنـادق فلاندرز والسـوم - أيـدت لندن خطة المكتـب. ولكن القاهرة، وهي صاحبة القرار في السياسـة البريطانية في المشرق العربي، لـم تكن تستطيع أن تقوم بأي شـيء في بلاد الرافديـن والجزيـرة العربية مـن دون موافقة الشـطر الإنجليزي الآخر، أي حكومة الهند.

وكـان الخليـج العربـي حكـراً علـى الإدارة البريطانية المباشـرة في الهند، وهو بحيرة كانت تتدخل فيها على راحتهـا منذ القرن الثامن عشـر؛ وكانت وحدها القادرة على توفيـر السلاح والذهب والرجال اللازمين للعملية. إلا أن حكومـة الهند كانت تعارض ذلك. فقد أرادت كل مـن دلهي والقاهرة السيطرة على الشـرق الأوسـط بعد هزيمة الدولـة العثمانية. وقد اختلفت خططهما وكانت اتصالاتهما ضعيفة ولم يتعاونا فيما بينهما.

أدى هـذا التبايـن بيـن المركزيـن إلـى تعقيـد تنفيـذ استراتيجية متماسـكة. كانت دلهي تسعى للحفاظ على هيمنتهـا في بـلاد الرافدين ومنطقة الخليج الفارسـي، بينمـا كانـت القاهرة تـرى في دعـم الثـورات العربية فرصة لزيادة نفوذها في المشـرق. كانت هذه المنافسة الداخليـة تضعف فعالية الجهـود الحربية البريطانية، مما حال دون التنسيق الفعال وتوفير الدعم اللوجستي الكافي للعمليات الحاسمة في بلاد الرافدين.

ولم ييأس مكتب القاهرة من محاولة إقناع نائب الملك في الهند الذي كان مسؤولاً عن المستعمرة. كان بإمكان الآنسـة بيل أن تكـون عاملاً حاسـماً. فقد كـان نائب الملك صديقاً لعائلتها، وكانا معجبين ببعضهما البعض منـذ أن التقيـا في منـزل عم المستكشـف، الذي كان سفيراً لبريطانيا في رومانيا آنذاك، قبل ثلاثين عاماً. لذا انطلقت جيرترود بيل إلى دلهي.

ورغـم تقديـره لهـا ولوالديهـا، إلا أن نائـب الملك أكد لهـا أنـه لا يريد ثورة عربيـة في بلاد الرافديـن، ولا في أي مكـان آخر في الشـرق. وقال لهـا:" إن أهل القاهرة لا يفعلـون إلا ما يحلـو لهم، وتدخلهم في شـؤوني غير مقبـول، وخطتهـم أضغـاث أحـلام". عاش عشـرات الملايـيـن مـن المسلميـن في الهنـد. وكان مرشـدهم الروحـي هو الإمبراطـور العثماني والسلطـان والخليفة وأميـر المؤمنين والخليفة الرمزي للنبي. ماذا سـيحدث لو دعمـوه؟ ماذا لو حدث قتال بين العرب والأتراك في محيط الأماكن المقدسة ؟ كانت ستندلع حرب أهلية في الهند، يؤججها الألمـان. القاهرة لا يمكن أن تفعل لهم أفضل من ذلك. "إن مسلمـي الهند ليسوا عرباً يا آنسة بيـل، وأنت تعلمين ذلـك أكثر مني. إنهـم لا يهتمون باحتمـال قيام مملكة عربية بعد الحرب، وأنا أقول لك إنني لا أريدها".

وكانـت البصـرة ومنشـآت النفط فـي الخليـج حيوية بالنسـبة لبريطانيـا العظمـى، وكانـت بغـداد معقـلاً للتجـارة البريطانية لقـرون. "والقاهرة تريـد أن تتنازل عنها للعرب، لتلك القبائل البدائية ؟ لقد أشرتِ بنفسك يـا آنسة بيل إلى ذلك في العديد من تقاريرك. آخر دولة عربيـة تعود إلى العصور القديمة. وماذا عسانا أن نفعل لو أن الهنود استلهموا من العرب وطالبوا بدولة مستقلة خاصـة بهـم ؟ إنني مندهـش مـن تأييدكم لمثـل هذا المشروع الخيالي. لقد أراد نائب الملك أن يضم بلاد ما بين النهرين إلى أملاكه ليقدمها مستعمرة لإمبراطوريته. لن يحتاج الإنجليز إلى العـرب لهزيمة الأتراك. وانتهت الجلسة.

مكثت جيرتـرود بيل في الهند لعدة أسـابيع. في دلهي الفارقـة فـي الضباب، ثم في سـيملا عند سـفح جبال الهملايا التي كانت تشبه مدينة المنتجعات الإنجليزية، واستشارت الضباط العسكريين والمسؤولين المدنيين - وهـم مجموعـة رائعة. وعلـى الرغم من اسـتياء نائب الملـك، فقد حاولـت إقناعهـم بمزايا المشـروع الذي وضعته مع زملائها في القاهرة وأجرت مقابلة مع صحيفة "بايونير" وهي الصحيفة اليومية الرائدة في المستعمرة. ولكـن من دون جـدوى. فقد ظل نائـب الملك مصراً: في خضـم حرب عالمية، لـن يعبث بأمن شـبه القارة الهندية التي كانت خزاناً للرجال والمواد الخام والثروة اللامتناهيـة على مر العصور، وهـي القطع الرئيسية في رقعة الشـطرنج الإمبراطورية التـي جعلت من بريطانيا العظمـى قـوة عظمـى أوروبية آسـيوية غيـر مسبوقة. "كونـي عاقلة يا آنسة بيل، وأخبري زملاءك أنه لا داعي للإصرار". ولكن لأن نائب الملك كان يثق بها ولمصلحة التاج، قرر إرسـالها إلى البصرة. وكانت سـتعمل كهمزة وصل بين القاهرة ودلهي، وستكون قادرة على تحسين وسائل الاتصال بين المركزين المتنافسين، بقليل من اللباقة. كما طلب منها جمع معلومات شاملة عن قبائل بلاد ما بيـن النهرين. ولكنه لم يمنحهـا لقباً ولا منصباً رسمياً. كانت مهمتها في البصرة غير رسمية.

لذلـك ارتاب الضبـاط العسكريـون والسياسـيون في أمرهـا عندما وصلت. ولما كانـت الكارثة في الكوت قد اتضحـت معالمها وكان لا بـد من معاقبـة المسؤولين عنها، فهل كانت جاسوسة نائب الملك ؟ أم أنها جاءت من المكتب العربي في القاهرة لإثارة القلاقل بينهم ؟

لـم يكن السير بيرسـي كوكس سـعيداً بوجـود الآنسة بيل فـي أمسـية مـارس - آذار الرطبة هذه أيضـاً. كان بإمكانه الاسـتغناء عنها، فلديه ما يكفيه من المشاكل على جميـع الأصعدة. لكنها تستطيـع أن تؤنس زوجته الضجرة في البصرة. وقد كتب إليه نائب الملك ليأخذها على محمل الجد: "إنها امرأة ذكية للغاية بعقل رجل".

*أوليفيـه غيز هـو روائي وناقد، وصحفي سـابق، وهو مؤلف كتـاب "اختفـاء جوزيف منجيليه" (جرسـيل، 2017، جائزة رينو). حصل على جائزة سـيزار الألمانية لأفضل سـيناريو عن فيلم "فريتز بـاور، بطل ألماني". يعيش في روما.

## مراجعة

*البابا الأخضر للروائي والدبلوماسي الغواتيمالي ميغيل أنخيل أستورياس تقدم لنا صورة موجعة عن الظلم والاستلاب وافتعال الحروب وتجارة السلاح والجرائم المنظمة وطمس الهويات الوطنية. تدور أحداث الرواية في نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، يتناوب في السرد الراوي العليم، وجو ماكر تومبسون بطريقة التداعي. فيخلق لنا استورياس لغة انيقة وشاعرية راصدا التحولات السلبية العميقة في المجتمع الغواتيمالي وما تعرض له شعب المايا وحضارته من سلب ونهب لخيرات ارضه والتهجير منها بالاغراء مرة وبالقوة والقتل مرات على يد بحار امريكي يدعى جو ماكر تومبسون جاء إلى الساحل الغواتيمالي لتأسيس شركة الفواكه والثمار الامريكية. لكن تومبسون يلقى معارضة من شعب المايا، الهنود الحمر، سكان البلاد الاصليين الذين يتمسكون بارضهم. يواجه الهنود مخططات ومطامع اليانكي الامريكي، البحار جو ماكر توبمسون والمتعاونين معه من ملاكي الاراضي الكبار والعسكر والحكومة في العاصمة. انها رواية عن النوايا الدفينة والاطماع التي تستخدم كل الوسائل غير الشرعية من أجل تحقيق الأهداف.*

الصباح الثقافي
رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين
www.alsabaah.iq
ملحق اسبوعي 16 صفحة
Wed. 9 . Oct. 2024 Issue No. 6024 العدد 2024 الأربعاء 9 تشرين الأول